كتاب حديث العربان

عن أخلاق وعادات أهالي السودان

تأليف

ع.ح.ا.ب

الناشر
شركة نوابغ الفكر



شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الالكترونى :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

كتاب حديث العريان عن اخلاق وعادات اهالى السوادان

تأليف

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر 2014

عدد الصفحات :

ا-السودان – العادات والتقاليد

2-الاخلاق

3- اداب السلوك

رقم الايداع :2014/14698

- الترقيم الدولي:2-23-6415-977-978



إهداء

إلى حماة الأخلاق

وأنصار الفضيلة

من بني السودان

ع . ح

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الداعى إلى الطريق السوى القويم، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا مثلاً عاليًا فى أخلاقهم وعادتهم عليهم رضوان من الله أجمعين (وبعد فقد جاء فى القرآ الكريم آيات تحث الناس على أشرف الأخلق وجميل العادات بل زادنا القرآن قصصًا عن أخبار الأمم الماضية وما كانوا عليه وضرب لنا الأمثال لعلنا نترك الأخلاق السيئة والعادات القبيحة التى تنزل بالأمم إلى هوة الانحطاط السحيقة التى لا قرار لها ودركها الأسفل كما حثنا على التخلق بأكرم الصفات التى ترفع الأمم والشعوب إلى ذروة المجد العالية ولما كانت الأخلاق من الخطر بمكان عظيم، فقد قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقال من سعادة المرء حسن الخلق وقال لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وقال سوء الخلق ذنب لا يُغفر وسوء الظن خطيئة تفوح. وقال إن العبد ليبلغ من سوء الخلق أسفل درك جهنم، فهذه أحاديث نبوية داعية إلى حسن الأخلاق ومُنفرة عن قبيحها، وقد قال ابن لقمان لأبيه يا أبت أى الخصال من الإنسان خير، قال الدين، قال إذا كانت اثنتين قال الدين والمال، قال فإذا كانت ثلاثة قال الدين والمال والحياء، قال فإذا كانت أربعًا قال الدين والمال الحياء وحُسن الخلق، قال فإذا كانت خمسًا قال الدين والمال الحياء وحُسن الخلق والسخاء، قال فإذا كانت ستًا قال يا بنى إذا اجتمعت فيه الخمسة خصال فهو نقى وتقى ولله ولى ومن الشيطان برى. وقال (الحسن) من ساء خلقه عذب نفسه

والدليل على أخلاق الرجل إذا قال صدق وإذا وعـد أوفى بوعده وإذا استدان من أحد من الناس وفى ما عليه من الدين، وإذا أوعت عنده أمانة أداها إليك لا يصرف وقـته إلا فـيما يـعود عليه بالنـفع فى الدنيا والآخـرة، ولما كانت السعادة هى الأخلاق والعـادات الفاضلة كان من الواجب على نحو وطنى أن أدعو إليها فى اثنى عـشر حديثًا مفصلة فى كتـابنا المسمى حديث العربان عن أخلاق وعادات أهالى السودان وأنى حبًا فى النـفع العام قد جعلته بلغ دارجة حتى أسُوق به العوام إلى الفضيلة من حيث لا يشعرون، نسأل اللهأن يوفقنا لما فيه الخير إنه سميع مجيب.

السودان

لا نريد بالسودان الإقليم الواسع الأرجاء المترامى الأطراف الذى يمتد من الصحراء الكبرى شمالا إلى خط الاستواء جنوبًا ومن المحيط الأطلسى غربًا إلى الحبشة والبحر الأحمر شرقا الذى يعمه كلمة سودان متى أطلقت بل مرادانا الجزء الشرقى من الإقليم المذكور الذى يسمى بالسودان المصرى الإنجليزى الذى يُحد شمالاً بمصر عند خط الدرجة الثانية والعشرين من العرض الشمالى وشرقا بالبحر الأحمر والأرتيرة وبلاد الحبشة وجنوبا بأوغندا والكنغو الحرة وغربا بإفريقيا الاستوائية الفرنسية ووداى أو بعبارة أخرى السودان الشرقى العربى الذى يُحد بما تقدم هذا المكان الذى يقطنه قبائل كثيرة من العرب وغيرهم لا يمكن لمن يريد أن يتكلم عليهم من الوجهة الأخلاقية والعادية متتبعًا عادة كل قبيلة منها وصفاتها إلا إذا تكبد المشقات الجمة والرحلات الطويلة حتى يأتينا بكتاب جامع لأشتات الأخلاق والعدات لتلك البطون المتفرقة فى أرجاء وطنها ننظر فى طياته ما لتلك القبائل من محمود الصفات أو زميمها وهذا وإن كان ممكنًا لكنه صعب ويكاد يكون متعذرًا على كل أحد، ولما كانت عواصم البلاد ومدنها الكبرى هى المدرسة الأخلاقية لكل أمة وما سكان البوادى والقرى الصغرى إلا مقلدون لأهل الحضر فى كثير من الأخلاق والعادات لأنك إذا نظرت إلى الرجل القروى أو البادى تجده إذا توفر عنده شيء من المال أخذ يتتبع أهالى لاحضر فى المأكل والمشرب واللباس وأدوات المنزل من فرش وغيرها والركائب المزينة إلى غير ذلك من لوازم الحياة المزخرفة رأينا التكلم على صفات أهالى المدن الكبرى يوصلنا إلى الإحاطة فى

تعداد كثير من أخلاقهم وعاداتهم أو يكاد يوصلنا إلى إبراز صورة حقيقية للأمة السودانية من الوجهة الأخلاقية ولا ندعى أننا قد تكلمنا على أخلاق وعادات الأفراد والجماعات جميعها بل ما أوردناه فى هذا الكتاب ما وصل إليه علمنا وإن كان هناك كثير من الأخلاق والعادات لم نذكره فمعذرة أيها القارئ الكريم لأن أبناء كل أمة مهما صرحوا لا يمكن أن يحدثوك عن جميع أخلاقهم وعاداتهم لأن الكتاب والأدباء والأخلاقيين لهم قانون يسمى من باب اللياقة أن لا يقول الكاتب كذا أو يُصرح بكذا فلا نستطيع تخطيه ولكن الأفراد والأمم تعد راقية إذا كان لها من الميزات فى أخلاقها وعاداتها كرم ودين وشجاعة وإقدام وعفة ووفاء وسخاء وعلم وحب للعمل فى جميع مرافق الحياة أو بعبارة أخرى أن تكون حسناتهم أكثير من سيئاتهم لأن الكمال فى جميع الصفات ليس من خصائص البشرية ويجب أن تكون جميع الأخلاق الفاضلة والعادات الكاملة عملية لكل فرد، وأما البكاء على الفضيلة بدموع التماسيح لا ينفع وإذا نظرنا إلى الأفراد وتتبعنا أعمالهم وأقوالهم نجد بعض سيئات ولكننا نجد إلى جنبها حسنات كثيرة لا تكون السيئات إلى تلك المحامد بشىء فمثل هؤلاء يعد أخياراً لقوله تعالى: «إن الحسنات يذهبن السيئات» كما أننا نجد كثيراً من الناس ربما قرءوا المجلدات الكبيرة من كتب الأخلاق ولكنهم لا يحيدون عن أخلاقهم التى شبوا عليها من الصغر وفعلهم للحسنات من فلتات الدهر فمثل هؤلاء يجب عليهم أن يعودوا أنفسهم عمليا على الأخلاق الفاضلة.

مقدمة

الواجب على كل فرد يعيش فى مجتمع إنسانى أن يمد إلى ذلك المجتمع يد المساعدة وهى فى الحقيقة تعود بالنفع إليه إن آجلاً أو عاجلاً فكل إنسان يساعد بما يستطيع فالعالم واجبه تعليم الجاهل ما يحتاج إليه من الضروريات الدينية ولا يشد فرس الكبر ويلجمه بالأنفة ويسرجه بالرياء ويستوى على ظهره وينظر إلى الناس من ذلك العلو كأفراد الدواب التى لا يليق به التكلم معها بل يجب عليه مخالطة جميع طبقات الناس الذين تربطهم معه واجبات الحياة سواء كانت فى المسرات أو المآتم أو غيرها وواجب التاجر ترك الغش فى المبيعات والصانع واجبه إجادة كل شىء يصنعه فمن أخذ الأجرة حاسب الله بالعمل والزارع مهمته حرث الأرض وأرباب الأموال واجبهم اثتمار أموالهم فى المنافع التى تعود على وطنهم بالخيرات وبالإجمال كل أحدٍ له عمل يجب عليه اتقانه ولنضرب إليك مثلاً فإذا وُجد جماعة من الناس أحدهم تاجراً والآخر زارعا ورابعهم صانعا إلى آخر أرباب المهن والحرف ومن الضرورى أن كل واحد منهم محتاج إلى الآخر، فإذا كان كل واحد يغش سواه فتصبح مجموعة غش فالتاجر يغشهم فى البيع والصانع يغشهم فى المصنوعات والمزارع يخلط الصنف الجيد بالردىء فإذا تكونت أمة من مثل هؤلاء الجماعة فقل لهم ابشروا بعدم البركة فى أموالكم التى تجمعونها والعكس بالعكس إذا كان التاجر صادقا والصانع يحاسب الله فى صناعته إلى آخر ما تقدم من المثال فينقلب الحال إلى اليسر بعد العسر فإذا أخذ الإنسان نعلا مثلا ودفع ثمنه وكان جيداً فى صناعته فلا شك أنه يمكث معه زمنًا طويلاً وإذا كان ردىء بعد أيام قلائل يعود فيشترى نعلاً آخر ثم إذا أسعده الحظ يبلغه أى النعل الأول فيصبح

خاسرًا ثمن أحد النعلين ولما كانت الأخلاق هى منشأ هذا الغش بجميع أنواعه والعادات تابعة لها رأينا من الواجب علينا أن نُبين كثيرًا من الأخلاق القبيحة والعادات الضارة فألفنا كتابنا هذا وسميناه حديث العربان عن أخلاق وعادات أهالى السودان وجعلناه أحاديث وفصولاً أوردناها على لسان بعض العرب سكان البادية، فنسأل الله أن يوفقنا للصواب إنه سميع مجيب.

كل إنسان يقطن المكان الذى تتوفر فيه أسباب راحته والحاجيات التى يكون طالبًا لها فالعربى مثلا يسكن البادية لما فيها من العشب الذى تأكله المواشى من بقر وغنم وإبل غادية فى أرجائها تسرح وتمرح تلطفت من أوراق الشجر ما تريد فإذا وجد إلى جنب مرعاها منبع ماء كانت الراحة أتم فما عليه إلا أن يتعهدها من الحيوانات المفترسة كالأسود والذئاب وغيرها ويشرب ألبانها وينتفع بوبرها وشعرها وما يتوالد منها وجرت عادات الأعراب أن يكون لكل قبيلة واد خاص بها ترعى فيه مواشيها فلا تتعد إليه قبيلة أخرى ومن نظمهم المتبعة فيما بينهم أن يضرب كل واحد بيته المتخذ من الشعر بعيدًا من الآخر خوف اختلاط الماشية إذا حضرت إلى (الفرقان) أى الحى فيكون من السهل أن يحتلب ماشيته الخاصة، أما فى المرعى فربما تختلط كلها فى واد واحد وعند إرادة فرز بعضها من بعض فهم أعلم بما يخص كل شخص وربما نادى أحدهم ماشيته فتأتى إليه فى أقرب وقت إذا كانت مع غيرها ومنهم من يسمى بعضها أى الماشية باسم فإذا أرادها نادها فتأتى إليه من بين (المراح) الراحة التى ذكرتها إليك تكون فى الزمن الذى يسوق الله فيه السحاب إلى البلدا الميتة فيحييها بعد موتها بالغيث المنهمر فتنبت الأرض الحشائش وتكتسى ببساط أخضر زينته القدرة الإلهية بأنواع الزهور وطيبته بالروائح الذكية

وأخذت الأشجار بعد أن أصبحت أعوادًا فى أنبات الأغصان فما هى إلا برهة من الزمان حتى تراها دوحات ظلال وارفة تغرد فى ظلال أفنانها الطيور ذات الأصوات الشجية المطربة ولا يحرم الإنسان إذا مر بها الظل الوارف الذى يقيه من حرارة الشمس، أما إذا قل الكلأ وامتنع المطر من السماء وأصبحت الأشجار أعوادًا ففى ذلك الوقت يتعب الأعرابى فى باديته ويبعد شديد البعد من المدن والأنهار بعد أن كان قريبا منها يقلب وجهه، نحو السماء لعلها تجود بما جادت به بالأمس هذا بعض الشيء عن حياة الأعرابى فى البادية، وأما أخلاقه وعاداته وأكله وملبسه وغيرها سأذكره فى الفصول الآتية فيما بعد.

الحديث الأول عن البادية

حدثنا عباد قال كنا من فتيان إحدى القبائل العربية السودانية التى اتخذت معاشها من تربية الماشية من إبل وبقر وأغنام تسرحها فى الأودية المكسوة بالأعشاب والحشائش المحاطة بالغابات الكثيفة واتخذت من أصوافها وشعرها ووبرها بيوتا تأوى إليها من غارس البرد وشديد الحر خفيفة تحملها حين ترحالها من واد إلى واد على ظهور المطايا وكان أحدنا يسمى حاتما والثانى عبادًا والثالث عليا ولكل منا ماشية خاصة به يعتنى بشأنها فنمت وزادت حتى أصبحنا من أرباب الثروة الطائلة بين أفراد تلك القبيلة وكنا نذهب نحن الثلاثة فى كل عام إلى إحدى المدن لنبيع بعض ماشيتنا ونشترى ما نحتاج إليه من قماش وخلافه، وفى أثناء إقامتنا فى الحضر ننظر يمينًا وشمالاً فلا نرى إلا كل شيء حسن وأن حياة أهالى المدن المعيشية على شيء كثير من المسرات فتحدث فى نفوسنا تأثيرًا عظيمًا نتمنى لو نكون من سكان الحضر ولكن سرعان ما تنقضى هذه الأيام فنضطر إلى العودة إلى البادية وليس لنا حديث فى أثناء الرجوع إلا ما شاهدناه فى تلك البلدة التى قدمنا

منها ولما كانت غاية البدوى إذا تيسر حاله وعظمت أمواله أن تشتاق نفسه إلى سكن الحضر والإقامة فيها اشتاقت نفوسنا إلى هذا الأمر وأصبحت الفكرة شغلنا الشاغل لكننا كنا مترددين حتى فى آخر الأمر قَرَّ رأينا على أن نهجر البادية ونقطن إحدى المدن وما كان منا إلا أننا حددنا يوما لسفرنا إلى المدينة لنصرف ما نملكه من الماشية ونتخذها سكنا وموطنا ويختار كل منا عملاً من الأعمال ومرت الأيام سراعا وجاء اليوم المحدود وكنا قد أعددنا جميع ما نحتاج إليه فى السفر من الزاد (كالعطينة) وهى نوع من الدخن المخلوط بالتمر والماء، كما أننا حملنا شيئًا من التمر اليابس واللبن الذى نحلبه من الماشية فى أثناء الطريق يكون مفيداً لنا وكافيًا عن حمل شىء من الزاد كما أن كل واحد منا تقلد سيفًا وحمل حرابه وأنا بالأخص كان عندى علاوة ذلك (كوكاب) أو بعبارة أخرى (شنقى شقى) وكنا أخبرنا الرعاة الذين يقومون بأمر الماشية فى الوادى ليجمعوها فى الصباح الباكر لأننا نريد السفر قبل طلوع الشمس حتى إذا ارتفعت وحر النهار حططنا رحالنا فى ظلال إحدى الشجر لنرتاح ثم نستأنف السفر بعد العصر إلى نصف الليل وهكذا حتى نبلغ المدينة التى نقصدها وفعلاً جمع الرعاة الماشية وساقوها أمامنا لأن سيرها بطىء وبعد قليل من الزمن نلحقها وما هى إلا فترات من الوقت حتى ودعنا أهلنا وذوى قراباتنا من نساء ورجال واقتفينا أثر الرعاة حتى لحقنا بهم وسرنا جميعًا إلى أن وصل إلى وادٍ كثير الأعشاب والأشجار وكان حينئذ قد انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس فحططنا رحالنا تحت دوحة عظيمة وارفة الظل وبعد ما ارتحنا قليلاً أخذت النساء فى إعداد الطعام وبعد تناوله نام كل منا برهة من الزمن ثم انتبهنا من نومنا وكان وقت العصر قد جاء فما كان منا إلا أن شددنا رحالنا وابتدأنا فى السير إلى منتصف الليل تقريبًا فوصلنا إلى ربوة عالية فأمرنا الرعاة بجمع الماشية فى مكان واحد خوفًا من السباع والذئاب وقلنا لهم

اجمعوا حطبًا وأوقدوا نارًا لأن السباع إذا رأت لهيب النار هربت منها وفى أقرب وقت فعلوا كل ما أمرناهم به وأحاطوا بالماشية، وبعد ما تعشوا بحليب اللبن وارتاحوا قليلاً أخذ كل واحد منهم يغنى بما يُروغ له من الغناء كما أننا أخذنا نتجاذب أطراف الحديث فى أمور شتى، حتى إذا طلع الفجر قام كل منا وأدى صلاة الصبح وأخذ الرعاة فى إرضاع صغار الماشية ولما فرغوا من هذا الأمر تركوها ترعى كما أمرنا النساء بإعداد الشاى وبعد شربه أخذنا فى التأهب للرحيل تقدمنا الماشية يحثها الرعاة على السير حتى إذا مررنا بجوار إحدى الغابات الكثيفة سمعنا زئير الأسود وعوى الذئاب ولكننا لم نعرها اهتمامًا كثيرًا لأننا ألفنا هذه الأصوات فى الصغر كما أن هذه الوحوش كثيرًا ما تخاف من الأعراب الرعاة لأهم لا يخافون منها بل قد تهرب منهم وقد استمر بنا السير على الترتيب المتقدم حتى كان فى آخر يوم من أيام السفر وصلنا إلى واد كثير الأعشاب فرأينا فيه بعض الرعاة ولما سألناهم تبين لنا أنهم من الأشخاص الذين يقومون برعاية أغنام أهل المدينة التى نقصدها فاطمئنت نفوسنا لهذا الخبر لأننا وصلنا إلى قرب المكان الذى نريده وبعد نزولنا فى هذا الوادى تفاوضنا فى أمر الماشية هل أحسن نتركها فى هذا المكان مع الرعاة ونذهب نحن إلى القرية أم نسوقها معنا ثم استقر الرأى على الأمر الأول وفعلا ذهبنا إلى المدينة وبعد وصولنا إلى (المنزلة) وهى بيت شيخ العرب لأن كل قبيلة من العربان لهم شيخ ينزلون عنده ليقضوا مصالحهم بواسطته من بيع أغنام وشراء ما يحتاجون من الحاجيات وبناء على هذا الرأى توجهنا إلى المدينة وبعد مسير عدة ساعات أشرفنا على البلدة وأخذنا نقترب منها قليلا قليلا حتى وصلنا إلى طرف القرية وجرت العادة أن مشايخ العربان يجعلون منازلهم طرف المدينة لراحة أرباب الماشية الذين يقصدونهم بين آونة وأخرى وعلى سبيل المصادفة قابلنا الشيخ المذكور فى أثناء الطريق ونحن سائرون إلى

داره فلما رآنا من بعد أقبل علينا قائلاً (خبابكم عشرة حمد الله على السلامة كيف حالكم الأهل طيبين لبقيرات الغنيمات) إلى آخر سلام العربان الطويل العريض وبعد الفراغ من السلام توجهنا إلى نحو البيت وعند الوصول برّكنا الجمال وأزلنا النساء من على ظهورها، أما النساء فدخلن إلى بيت شيخ الرب مع نسائه، وأما نحن فإننا نزلنا فى بيت الرجال الخارجى المعد للضيفان وما كدنا نأخذ مكانِ جلوسنا حتى رأينا الشيخ أمر بذبح خروف) وفى الحال قد ذبح وما هى إلا فترة من الزمان حتى جاءتنا (القداحة مليانة باللحم وإلى جنبها العصيدة) وشرعنا فى الأكل وكان أكلنا بشهية لأننا لنا مدة لم نذغ طعاما هنيئًا وبعد أن تناول كل منا قدراً وافراً من الطعام أتى إلينا (ببراد شاى) كبير فى حجمه فأخذنا نشرب حتى (سال منا العرق) وفى أثناء الأكل ولشرب يسائلنا شيخ العرب عن أحوال القبيلة واحداً بعد واحد لأن هؤلاء الأعراب تجدهم يحفظون أحوال قبائلهم جميعًا فإذا قابل أحدهم الآخر يسأله عن الصغير والكبير وأحوال الماشية ومراعيها إلى آخر ما يجول بخاطره من الأمور ثم أننا أخذنا راحتنا فى ضيافة شيخ العرب حتى زال منا تعب السفر ولما تحققنا من نشاطنا وأن وعثاء السفر قد زالت فكرنا فى أمر الماشية وبيعها فرأينا مشورة شيخ العرب فى هذا الأمر أحسن وفعلا فاتحناه فى الأمر الآنف الذكر فقال لنا من صواب الرأى عندى أنكم تتركون الماشية فى مكانها ثم فى كل يوم تأتون بجزء منها إلى السوق لأنكم إذا عرضتوها مرة واحدة لا تأتى لكم بثمن حسن وما كان منا إلا أن عملنا بهذا الرأى لأنه فى صالحنا وفى الوقت أدركنا أن المشورة إذا كانت من خبير فى أمر من الأمور تكون مفيدة للمستشير وأخيراً اتفقنا فيما بيننا أن أكون أنا البادئ ببيع ماشيتى فى الصباح الباكر إن شاء الله وإلى هنا تم الحديث الأول ويليه الحديث الثانى.

الحديث الثانى عن سوق الماشية

حدثنا عباد قال تقـدم لك فى الحديث الأول أننا اتفقنا على أن أكون أنا أول من يعرض أغنامـه للبيع وعمـلا بهذا الاتفاق انتبـهت قبيل الفـجر بقليل وبعد صـلاة الصبح مـباشرة شـددت جملى وما كـدت أن أضع رجلى على (المخلوفة) حـتى استـقل قائما ولما تجـاوزت القرية أخذ الجـمل (يكربت) ثم أطلقت له (الرسن) فـإذا هو يجرى سريـعا بخطى واسطة لأنه كـان من كرام الإبل ولا أطيل عليك الحـديث بعـد قليل من الـزمن وصلت الوادى الذى به الماشية وبعد وصـولى أمرت الراعى فرز جملة من الخرفان وبعد فـرزها ساقها الراعى أمـامى إلى القـرية ولما وصلنـا كانـت حرارة الشـمس قـد اشـتـدت واستـحسنا أن نـذهب إلى سوق الماشـية فى صـباح الغـد ولما جاء الصـباح توجهت بها إلى المكان المذكور وما كادت تطأ قدمى فى هذا المكان حتى رأيت ستًا من (الصبيان سبابة) الماشية وبغير سلام وكلام دخلوا (مراح) الماشية وعلم كل واحد منهم خروفـا بعلامة مخـصوصة إشارة إلى أن غيـره من السبابة لا يتعرض إلى ما علمه ولما رأيت ازدحامـهم على السعية قلت فى نفسى يا ليت لو أتيت بجمـيع الخرفـان لأن السوق الظاهر عليهـا الرواج ولكن سرعـان ما تبددت هذه الآمال وانفضوا هؤلاء من حولى كما فعل غيرهم مثل فعلهم وأنا واقف أنظر إليهم لأننى بكثرة ترددى إلى هذا المكان فى ما سـبق عرفت كثيرًا من أفعال هؤلاء فى البيع والشراء وكانت (الوطا باردة فى أول الصبح) وقلت فى نفسى يمكن أن يساعدنى الحظ وأتمكن من بيع ماشيتى من أول النهار ولكن قد تبددت أمالى وانتظرت كثيـرًا فلم يأت أحد من هؤلاء السبابة ولما ارتفعت الشمس وكادت تتعامد على الرؤوس أقبل على أحد من الناس وكان من تلكم السبابة الذين تقدم ذكرهم وقال لى (كـيف حالك يا شيخ العرب شن سموك) فقلت له عباد فـقال لى (جاد الاسم باين عليك صباح خير بتـشوف الخيريف

أب أضينات داك بريال كبير) فقلت له يفتح الله فقال لى بيع أخير لك أول بيعة من ذهب فقلت له يستر الله فتركنى وذهب إلى حال سبيله وبعد شوية أتانى سبابى آخر ونظر إلى الخرفان ولما رأى العلامة فى واحد منها قال لى يا عربى صل على النبى فقلت له اللهم صل عليك يا حبيب الله فقال لى بتشوف الكبش أبو قرينات داك بريال ونص كبير فقلت له (الله يحنن عليك يا صباح الخير بتلاتة ريال مانباع) فذهب من حيث أتى، ثم جاء ثالث منهم فقال لى كيف حالك يا شيخ العرب اسم الكريم فقلت له عباد فقال لى الحميل الأبرق القدامى ذالك بتشوفه بريال إلا ربع مع العلم الخروف الذى يعنيه بالحميل أكبر خروف فى ماشيتى فقلت له الله يفتح عليك فذهب وأتانى رابع من هؤلاء السبابة فقال لى ما تبيع الخرفان أخير لك فلم أرد عليه بكلمة ثم بعد ذهاب هذا الأخير رأيت السبابة الستة إياهم اجتمعوا فى مكان واحد وتفاوضوا همسًا فى ما بينهم وينظرون إلى مرة بعد أخرى ثم قصدوا نحوى كلهم فلما وصلوا أحاطوا بى إحاطة السوار بالمعصم حتى إنى توسمت فى وجوههم الشر وأوجست منهم خيفة وكان ما ظننا لأنى بكثرة ترددى إلى هذا المحل فيما سبق عرفت إن العربى لما يكون رأسه قوى لهم فى كيفية الشراء منه طريقة سأذكرها لك فى المبايعة الآتية وقفوا حولى السبابة الذين تقدم ذكرهم فمد الأول يده وأشار إلى الخرفان اللائى سبق أن فصلوا فيهم بأسعار لم توافق معى وقال الحملان ديك بتشوفن فى ريالين ونص كبير راكب بعض مع العلم أن الخراف اللائى يسميهم بالحملان أكبر خرف الماشية فقلت له يفتح الله فقال الثانى بيع ما يربط رأسك أخير لك تبيع ولما لما أسمح لهم بهذا الثمن شدنى الثالث من دقنى وقال لى العربى مطرطش ولا شنو وجبذنى الرابع من الثوب وقال انقطع ضكرك امسك الفلوس والخامس لكزنى فى صدرى وقال لى بالتقطس حجرك والسادس فتح يدى ووضع فيها الفلوس

وكلهم صاحوا بصوت واحد باع باع فمن يسمع يظن أنى بعت ولكن لم أبيع وعلى كل حال حصلت المبايعة سواء طوعًا أو كرهًا فلما رأيت نفسى بين نارين حرارة الشمس من جهة وهذا العذاب الأليم من جهة أخرى زد على ذلك السب والشتمة والنبذ لا خوفا من الله ولا حياء من الناس قبضت الفلوس وكررت عدها مرارًا خوفًا من نقصانها لأن هؤلاء ربما عدوا لك الريال ريالين وكان عندى (قفل) مربوط بسير فى رقبتى احترازًا من هؤلاء الشياطين واستمر البيع والشراء على هذه الكيفية حتى بعت جميع الخرفان ثم توجهت إلى بيت شيخ العرب وأنا فى غاية التعب من لكز هؤلاء وضربهم وفى كل يوم من الأيام نأتى بجزء من الماشية ونصرفها ولما انتهيت من بيع ماشيتى شرعت أساعد رفقائى فى بيع ماشيتهم ولكن تمرنا على هذا السب والشتم واللكز والضرب فهان علينا بعض التعب حتى انتهينا من بيعها فحمدنا الله على خلاصنا من هؤلاء الشياطين ثم إننا جلسنا فى بيت الشيخ عدة أيام ارتحنا من عناء المبايعة الذى وصفته لك فى ما تقدم وفى الأيام التى كنت أتردد فيها على سوق الماشية كنت أرى كثيرًا من الناس يأتون بالحمير فمنهم من يبيع ومنهم من يشترى وكان لى حمار كنت فى البادية أحتطب عليه وأحمل عليه القرب وكان هذا الحمار أكرمك الله له شبه بحمير أهل الحضر التى تصلح للركوب فقلت فى نفسى أنا الآن لست فى حاجة إلى هذا الأتان فمن الصواب بيعه والانتفاع بثمنه وبناء على هذا الرأى شاورت شيخ العرب فى بيع الحمار فقال عندى رجل صديق من المتسببين فى بيع الحمير يمكن أن يحضر إلينا اليوم أو فى الغد لأنه دائما يتردد علينا وفى صباح الغد جاء الرجل على حسب عادته ونظر إلى الحمار وفاتحنا فى مسألة الثمن وأخيرًا اتفقنا على عشرة ريال كبير فدفع نصف هذا المبلغ وقال لى فى الصباح الباكر تحضر إلى فى أماكن بيع الماشية أعطيك باقى المبلغ وكان شيخ العرب حاضرًا

يسمع كل مـا ذكر فقال لى لا تخف الـرجل مأمون وفى الصبـاح تذهب إليه يدفع لك الباقى ولما جـاء الصباح توجـهت إلى مكان سوق الماشيـة ولـم أجد الرجل وبعد قليل من الزمن جاء الرجل المذكور راكبًـا على حمار أعجبت منه كثـيراً فقلت فى نفسى مـا أجمل هذا الحمـار فلما رأى تعجبى قـال لى مالى أراك متعجبا من هذا الأتـان أليس هو حمارك الذى بعته إلى بالأمس قلت له كيف صـار بهذا الشكل فـقال لى لما ذهبت منكم أتيت بقـصاص فقـصاه ثم ربطتـه عندى فى البيت وأسكرته بالمريسـة ونحن فى كلامنا هـذا رأيت رجلا مقبلا علينا ويظهر أنه قروى وليس من أهل الحضر وقبل وصوله أخرج سبابى الحمير من جيـبه (حقَّه) أخذ منها (سَفَّة) ورفع رأسـه إلى السماء وقال يا رب من حلالك وحـرامك وما كاد يخلص من هذا الدعـاء إلا والرجل قد وصل إلينا وأخذ يحوم حول الحمار ثم قال لصـاحبه كم (ادوك فيك) فقال له اتكلم البَيْع أرزاقا أمدح الرسول فقال المشترى (رأس ماله عليك كم كلمنى بالصداقة وأنا أعشـيك) فقـال السبابى مـاك طالبنى حليـفة لكن على بالحرام مـن بيتى وطلقانة مرتى بالتلاتة راس ماله على خمسة عشرة ريالا كبيراً بدون حق قصه وعشاه فـقال الأعرابى المشـترى غالى بلحيل فـقال السبابى (مـا قلنا ليكم ما بتصدقـوا الأمانة قلت) شوف خشب الحمـار وصدره كيف واسع ولس سنون اللبن ما كسرن كـان ليك رزق الحمار ما يفوتك وحرمـانات على نسوان الدنيا والآخرة الحمـار البتشـوف ده جاى من (دنقلة) أمبارح فلمـا رأيت هذه الحالة والإيمان بالله والطلاق والحرام قـمت وقعدت من هول ما أصـابنى بل أصابنى ذهول شديد من هذه الأقسام الكاذبة التى لو وقع واحد منها أصبح الرجل مع زوجته بـدون عصمة شرعـية وحدثتنى نفـسى أن أنصح هذا الرجل وأقول له اتقى الله وحـرام عليك كـيف تحـلف بالله والطلاق والحـرام كـذبًا وزوراً ألا تخشى من مولاك يمكـن يقع عليك الطلاق فتقعد مـع زوجتك بالحرام ولكن

رجعت وفكرت وقلت لو نصحته وأفسدت عليه البيعة ربما ينقض على ضربا ولكما ويقول لى مالك تتكلم فيما لا يعنيك وإذا كان السبابة الذين بيعت لهم الخرفان قد حصل منهم السب والشتم بل الضرب فليس بعجيب أن يحصل من رجل مهنته تأديب الحمير ولا تفرغ يده من (مُطرق خضره أو عصاية خيزران) وما كدت أفرغ من هذا الحديث النفسى إلا وكان السبابى قد انتهى من البيعة (ورمى راس العربى) وصدقه بأن رأس مال الحمار خمسة عشرة ريالا واتفقا على أن يعطيه ريال ونصف أرباح وقبل أن يدفع العربى ثمن الحمار أمر السبابى بأن يركبه حتى يرى مشى الحمار وما كاد يركب عليه حتى جرى به جريا ما عهدته به وأظن هذا الجرى من الخمرة التى أسقاها إياه زد على ذلك الخبرة الواسعة لهؤلاء فى ركوب الدواب ورب كان لأحدهم مهماز فى نعله يحرك به ما سكن من شعور الحمار أضف إلى ذلك (المريسة بنت العيش) التى تترك الإنسان يمشى على غير هدى فما بالك بالحيوان الأعجم فلما رأى العربى المشترى هذا العدو السريع أعجب به وفى الحال نقده الريالات واستلم الحمار وخرج من السوق كما أنى استلمت باقى ثمن الحمار وفى أثناء تعداد الريالات نظر فى وجهى وأظنه عرف إنكارى وبغضى لحلفه بالله كذبا وزوراً وبالطلاق فسقًا وفجوراً فقال لى إن الله غفور رحيم فقلت له على الفور إنه لشديد العقاب وخرجت على أثر ذلك إلى (المنزلة) وهى بيت شيخ العرب وبعد أيام عديدة وأا أتجول فى سوق البلدة وجدت الرجل الذى اشترى الحمار من السبابى راكبًا الحمار الذى كنت أملكه فيما سبق وبقدر ما أوسعه ضربا فالحمار يرفع رجلا ويضع أخرى وفى بعض الأوقات (يترلى ورى) والرجل يكاد يتميز من الغيظ والغضب ولكن ما ذنب الحمار وقد ذهبت منه السكرة وجاءت حالته الطبيعية فلما رأيت الرجل بهذه الحالة تقدمت إليه وقلت له لا تتعب نفسك فهذا الحمار كان لى وكنت أحمل عليه

الحطب وهذا سيره من يوم ولدته أمه ولكـن كيف كان يُسابق الريح عند ذلك الرجل فهدأ قليلا من الغضب وأدرك ما فى الأمـر وأن السبابى قد غشاه وكان الوقت قـدحان لـتناول الغذاء فـذهبت إلى المنزل وأنا أتعـجب من مـا رأيت ويمكن تريني الأيام مـا هو أعجب وإلى هنا تم الحـديث الثانى ويليـه الحديث الثالث عن البيع والشراء.

الحديث الثالث عن البيع والشراء

حدثنا عـباد قال فى أثناء إقامـتنا ببيت شيخ العـرب كنا نخرج بين آونة وأخرى لنتجول فى سوق القرية وشوارعها فـترى البعد شائعًا بين ثيابنا وثياب أهل الحاضرة فما يرتدونه من الثياب أبيض جميل أما هدومنا فهى محمرة من الدهن) ولا نكاد نجـتمع فـى محل لتـجارتهم أو صـناعتـهم إلا يزدرون منا ويضحكون فنـجد فى نفوسنا من هذا التـحقيـر نقصًـا وما أظنه إلا من هذه الثياب لأن أهالى هـذا الزمن لا يحترمون إلا من تقمش ولا يحـتفلون بشيء آخر بل قيـمة الإنسان عندهم ما يرتديه من الثيـاب فإذا وجب علينا أن نتزى بذيهم حتى نكف هذا الازدراء والسخرية عنا فأخبرنا شيخ العرب بأننا نريد أن نشترى لنا قماشًـا فقال إن شاء الله فى صباح الغد سنتوجه جـميعًا إلى تاجر الفاتورة لنشترى لكم جميع الحاجيات التى ترغبون فيها ولما جاء الصباح حضر إلينا رجل يظهر على هيئته أنه من السمـاسرة) وبعد السلام جلس وكان أمامنا شيء من القهوة قدمناه إليه ولما استـقر به المجلس أخذ يتكلم مع شيخ العرب وبعد أن كان الكلام بصـوت عالى صار همسًا ثم قـام الشيخ ودخل إلى بيت الحريم ولما خـرج قال لنا عندى قرض ولا يمكن أن أذهب مـعكم إلى السوق وفلان القدامكـم يعنى السمسار له خـبرة بشراء الهدوم فألا حـسن أن تذهبوا معه فلما سمعت ما قال داخلنى الشك فى أمر شيخ العرب بسبب عدوله عن التوجه معنا إلى تاجر القمـاش ولكن علمت بعد ذلك أن هؤلاء السماسرة إن

لم يكونوا شركاء لمشايخ العربان فلا يبعد أن يهدوا إليهم شيئًا من الهداية أو بعبارة أخرى لا يكون بعيدًا أن يمسح للشيخ (شنبه) ولكن كلام الشيخ مسموع حملنا معنا (فى كمراتنا) ما نظنه كافيًا من الريالات وتوجهنا إلى تاجر القماش وعند وصولنا إلى (دكانه) قابلنا بكل ترحاب وأهلاً وسهلاً بمشايخ العرب وأجلسنا على كراسى كانت موجودة فى الدكان وفى الحال كورك يا ولد براد شاى) ولما أحضر الولد الشاى أرسله (جاب لنا رغيفًا وتمرًا) وشرعنا فى الأكل وشرب الشاى وأخذ السمسار يقول للتاجر جيب لنا التوب الفلانى والفركة الفلانية ولما يأتى التاجر بالأشياء المذكورة يعرضها علينا ويقول ثمنها كذا فيقول له السمسار (بلحيل غالى الثمن يا شيخ فلان كارم شيوخ العرب شوية) فنجد التاجر ينقص فى بعض الأشياء ريالا وفى بعْضها نصف ريال فنظن أن السمسار فى معونتنا وفى الواقع أنه مع التاجر على اتفاق تام فهو يعرف أن الصنف الفلانى ثمنه كذا، كما أن التاجر يمسك من فوق وإذا طلب منه النقص تنازل عن شىء قليل لأجل إكرام شيوخ العرب ومن بساطة عقولنا نظن أن الشاى والتمر والرغيف الذى يقدمه لنا التاجر من جيبه الخاص إكرامًا لنا ولكن لم نفكر أنه من جيوبنا وهل هناك تاجر يفتح محلا ليكون (خلوة) للضيفان كل ذلك لم يخطر ببالى إلا بعد أن مكثت فى المدينة عدة شهور عرفنا فى خلالها كثيرًا من الحيل والمكر وأن الناس أصبحوا لا يفرقون بين طرق الحلال ولاحرام من الحيل والمكر وأن الناس أصبحوا لا يفرقون بين طرق الحلال والحرام بل يتعمدون الغش والخديعة والمكر والدهاء فى البيع والشراء كأن الإنسان ليس له دين ينهاه عن هذه المحرمات ولا أطيل عليك حديثى اشترى كل منا الهدوم التى تلزمه وكان مرشدنا فى الشراء السمسار وبعد أن حللنا الكمرات وأعددنا للتاجر الريالات ذهبنا بعد ذلك إلى الخياط فاستلم منا القماش وأتعبنا بالمشاوير وأخيرًا بعد خلاص الثياب وجدناها قصيرة فلا ندرى ما السبب وإلى هنا تم الحديث الثالث ويليه الحديث الرابع عن السرماطى.

الحديث الرابع عن السرماطى

حدثنا على قال قد سمعت أيها القارئ عن أخى عباد ثلاثة أحاديث الأول عن البادية والثانى عن سوق الماشية والثالث عن البيع والشراء وأما هذا الحديث الرابع فهو عنى لأننا لما لبسنا ثياب أهالى المدن وخلعنا هدوم البادية الرثة رأينا ما بأرجلنا من النعال التى نسميها (الشبط) غير مناسبة مع هذه الهيئة الحضرية فقصدت إلى سوق المراكيب لأجل أن أشترى لى نعلا ولما وصلت هذا المكان وقفت أمام (دكان السبابة) الذين يبيعونها وقلبت كثيراً من المراكيب فلم يعجبنى واحد منها وكان على سبيل المصادفة يوجد أحد (الأسطوات) الذين يشتغلون هذه المراكيب فقال لى يا شيخ العرب الأحسن تتفق معى لأعمل لك (مركوبا وصاية) قلت لا مانع وبعد أخذ ورد فى ثمن المركوب اتفقنا على عشرين قرشًا نصفها (مقدم) والنصف الآخر بعد (جهاز) المداس وفعلا دفعت له المقدم ووصف لى العنوان وهو كالآتى الشيخ فلان السرماطى بالحلة الفلانية بالشارع الفلانى (تجد دكيكين صغير) تسأل صاحبه يقول لك [أهو داك] وافترقنا على أن أذهب له فى الصباح وبناءً على هذا الوعد توجهت إلى الطريق الفلانى والذقاق الفلانى إلى أن وجدت الدكان المذكور ومنه إلى بيت الأسطى وبعد دقائق وإذا أنا واقف أمام الحوش الذى به صاحبى فطرقته وبعد قليل جاءنى ولد صغير فقال لى [بدور - منو] فقلت له (بدور الأسى فلان) فقال لى اتفضل فى موجود وتقدم أمامى ودخلت أنا فى أثره وبعد أن مشينا عدة خطوات وقفت أمام (ديوان) بابه يفتح إلى الشرق وما كاد نظرى يقع على الأسطى حتى قام من كرسيه ومد يده إلىَّ وبعد السلام عليكم ورحمة الله وكيف حالك وطيبين جلست على (بَنْبر) قدمه لى (صبى الدكان) وفى الحال يا ولد شاى (مضبوط) لشيخ العرب فخرج الولد وبعد قليل جاء الشاى وقدم إلى كباية كما قدم إلى غيرى من الحاضرين وفى أثناء

شربى للشـاى التفت يمينًا ويسارًا وأنا فى غاية العـجب من هذه الصناعة لأنى فى حياتى لـم أر هيـئة من الإسكافية تشتغل فى مكان واحـد وبعد أن شربت الشاى مـددت رجلى إلى الأسطى فأخـذ مقاسـها وقال لى إن شـاء الله بعد يومين تجى تلقى (المركوب جـاهز) وعلى هذا الوعد خرجت إلى مقـر إقامتى ومـضى اليومـان وجاء الوعـد المضروب بيـنى وبين الأسطى الذى أظنه يوفى بوعده فـأجد المركـوب جاهزًا ولكن ذهبت فلم أجـد النعل قد عـمل ومحل العمل خالى من الجلود وغيرها من الأشـياء التى من العادة تكون موجودة فى محلات السرماطية فداخلنى الشك وقلت فى نفسى (الداهن نصاب ولا شنو) ولما نظر إلى عرف أنى شككت فى أمره ومن البـديهى أن يلتمس له عذرًا لأن الإنسان إن أراد عمل مركوب عند سرماطى أو حذاء عند جزمجى يجب عليه أن يذهب إليه ألف (مـشوار - ومشوار) وأخـيرًا يترك له (العـربون) والسلام فقال لى (اقعد الواطا فيها الرحمان أمسـك الجابرة الدنيا ما فيها خير وحياتك وأفداك من طعنة الشوكـة يومة فوتك يجينا خبار أخـويا لينا توفى إلى رحمة الله وده جيه قدامك فلما سمعت هذا الكلام لم أطالبه بشىء لأن الرجل على زعمه كان فى بيت البكاء وفى أثناء جلوسى أتى رجل يظهر عليه أنه من تجار المراكيـب وبعد السلام والـرحمة والبـركة قـعد وأخـذ يتكلم مع الأسطى فى مسألة عمل شغل (كورجة مراكيب) واتفقا الأسطى والتاجر على أن الوعد لا يتجاوز أربعـة أيام لأن هذه المراكيب مبيوعة إلى رجل مـسافر وإذا لم تخلص فى الميعاد المعلوم يمكن يرفـضها ويضر بصالحه ضررًا شـديدًا ثم قال التاجر يا أسطى فلان (أنا عارف مـواعيدك كلها كضـابة) لكن هذا الوعد آمل أن يكون صادقًا فحلف الأسطى (بالطلاق والحرام) إنه سيفى بهذا الوعد (وشال الفاتحة) على ذلك وبنـاء على هذه الأيمان الغليـظة دفع الرجل تاجـر المراكـيب ثمن الكورجة جميعه ثم خرج إلى حال سبـيله وبعد خروج التاجر جاء سبابى من

تجار الجلود فلما رآه الأسطى حصل له انقباض وما كاد يجلس حتى أخذ يتكلم (يا أسطى فلان ربنا ما هون على القرشين العندك) فقال الأسطى يا شيخ فلان العارف لا يعرف الشغل بطال الصناعية شايفهم قاعدين ساكت أديناكم جلد نمشى بهم الدكان ونخلصك شيء فى شيء وبارك الله فيمن نفع واستنفع وإياك بركتنا ويمين المسلمين حج وعتيق حقك يجيك فى محلك فلما سمع السبابى كلام الأسطى (أضانة رقصت) وظن هذه الوعود حقًا ستكون صادقة ولكن بدل أن يخلص أضاف إلى الدين القديم دينًا جديدًا وفى الحال عرف الأسطى التاجر بأن الجلود التى تلزم عدد عشرين جوزًا من النعلات نصفها عرايسى والنصف الآخر رجالى وعدد ثلاثة جلود سختيان وعدد خمسة جلود حور وما هى إلا ساعة من الزمان إلا والجلود قد حضرت إلى الدكان فلما رآها الأسطى تهلل وجهه فرحا وسرورًا وكيف لا يفرح وقد قبض ثمن كورجة المراكيب وأتت إليه هذه الجلود بدون ثمن لأنه ينوى من صميم قلبه أن لا يدفع إلى واحد منهما شيئًا ولكن بقى شيء يلزم لإتمام العمل وهو (سداية من خيط الغزل) فأمر صبى الدكان وهو ولد صغير عمره لا يتجاوز الاثنى عشرة سنة وقال له امشى إلى عمتك فلانة ست الغزل وقول لها الأسطى يقول ليك جيبى معاك سداية سمحة وفعلا خرج الصبى وما كاد يخرج من باب الدكان إلا وأخذ يترنم بهذه الغنوة:

ضاع صبرى أين يا وصلى　　قلبى بنار الغرام مصلى
ما سليتك وأنت كيف تسلى　　صرت ميت والدموع غُسلى

ولا تعجب من ترنم مثل هذا الصبى بالغرام فيكفى أنه سرماطى فحسب فلما ذهب الولد أخذ الأسطى يوزع الجلود الموجودة فى الدكان على الصناعية ليقوم كل واحد بعمله وأخذ المحل يعيد الحياة العملية بعد أن نام عدة أيام

بسبب سوء معاملة الأسطى لمثل تجار الجلود وسبابة المراكيب وبعد ذلك سمعت (كشكشة مراكيب) وأظن أن هذه الحركة هى ست الغزل وكان ظنى فى محله ولما رفعت بصرى رأيت مرأة كبارية تحمل عدة سدايات من الغزل وما كادت قدمها تتطأ العتبة حتى بادرها الأسطى بقوله كيف حالك يا عمتى فلانة ثم تناول منها الخيط وشرع يقلبه فأخذ ما رآه يصلح من سدايات الخيط ثم أخذ يفاصلها فى الثمن حتى اتفقا عليه لكن لم يدفع لها شيئًا وقال لها باكر العصر أديك الفلوس وعلى هذا الوعد خرجت صاحبة الغزل كما أنى خرجت على أن أحضر باكر لعصر لأجل استلام المركوب الذى سبق أن دفعت عربونه ولما جاء الغد ذهبت قبل الميعاد لأنى خفت ربما يخلص المركوب ويباع ولا يكون لى حجة على هذا الأسطى الماكر ولكن عند وصولى والسلام وعليكم السلام نظرت إلى محل الأسطى ولم أشك فى عدم خلاص المركوب لأنى رأيت رأسه مربوطًا والظاهر عليه أنه متمارض ولما سألته قال لى إلى الآن لم يخلص فقلت له ما السبب فقال لى امبارح فوتك وقعت من الكرسي لا (أجر إيد ولا كراع) والآن الحمد لله أحسن شوية وشرعنا فى الشغل الآن لأن الألفى وهو نائب الأسطى فى تفصيل الأشغال له كم يوم لم يحضر وفى أثناء كلامنا وإذا بآذان العصر يقول الله أكبر وما كاد يتم الآذان إلا وست الغزل قد حضرت وبعد أن استقر بها المكان شرع الأسطى يحكى عليها قصة المرض وزاد عليها أنه لولا المرض لذهب إلى صاحب هذا الشغل وأحضر منه الفلوس فلم يسع المرأة إلا الذهاب من حيث أتت ولما ذهبت المرأة وانكشفت هذه الغمة عن الأسطى أخذ يُسألنى فى مواضيع شتى وأخذت أنا أسأله عن أدوات الصناعة وهو يعرفنى عن جميعها واحدة بعد واحدة وهذه أسماؤها وهى (القرمة والكازم والأشفة والإبرة والماجور) وغير ذلك من أسماء الأدوات

التى لم أتذكر اسـمهـا الآن وأا فى أثناء جلوسى أسمع صناعى الرفـيع يقول يسطى الفرد ده كاخها واطى خالص عاوز سنده خفـيفة فيقول الأسطى ارفعه شوية وبعد شـوية يقول الألفى وهو نائب الأسطى ويقوم مقـامه فى توضيب الشغل يسطى البشتق ده ضيق والقـالب دن تخين يمكن يشرط الفردة فيقول له الأسطى اعمل حـسابك بالراحة اوعى تكـون (الدانزاية بايته معـاك) ثم يقول صناعى النعـلات الفردة ده مش راضيـة تنخذم لا من بوزها ولا من الأكـشة فيقول له الأسطى حايل الفـردة حتى تجى تمام وما كاد ينتهى الأسطى من هذا الكلام حتى دخلت أم صناعى الرفيـع وهى مرأة كبارية تظهر عليهـا علامات الفاقة والبؤس وبعد أن سلمت على الأسطى سألت ابنها بقولها (يا جناى أنت امبـارح بايت وين) فقـال له برضة امبـارح كان عندنا شـغل كتـير ونمت فى الدكان ولكن هذه الأقوال كلها كضب الواقع إنه نايم فى بيت صاحبته - فلما سمـعت هذا الكلام صدقت ثم أخذت تقـول له وين القروش حقات كـسوة أخواتك ما قلت بتـجيبن لى فى البيت فقال لها لس سيـد الشغل ما دفع حق المراكيب وباكر إن شاء الله يدينا وأنا أجيبن لـيك فى البيت فآمنت بهذا الوعد وظنت أن ابنهـا يخجـل شوية وينكسف وبلاش سـكر وعربدة ويروح يديهـا القروش علسان تكسى أخواته العريانات ولكن ظنهـا لم يتحقق وما كاد يستلم ابنها القيرشين من الأسطى حتى ذهبت إلى الحبايب وأما والدته وأخواته فلهن رب اسمـه الكريم ولما انصرفت أم صناعى الرفـيع رفعت بصرى إلى السـماء فرأيت الشـمس قد غربت فـقلت لهم السلام عليكم وإن شـاء الله باكر أجى إليكم لأستلم المركوب ولما جاء الصـباح توجهت إلى دكان الأسطى إياه وبعد السلام والرحمة جلست كالعادة على (بنبـر) ومن كثرة ترددى عليهم أصبحوا جميـعًا أصدقاء لى وأن كبـدنى هذا الأسطى المشاق الكثيرة وكلـما أتيت إليه

لأستلم المركوب يطلع إلى بعذر ولا أجد قول الشاعرِ ينطبق على أحد من الناس إلا على هذا الحبلى وهو:

يأتيك من طرف اللسان حلاوة ويزوق منك كما يزوق الثعلب

ولا أطيل عليك الكلام عن أهالى هذه المهنة وفى أثناء جلوسى أتت نسيبة صناعى النعلات وبعد أن سلمت على الأسطى قالت له اسأل صناعيك ده وأشارت إلى صناعى النعلات وقول له ليك شهرين ما بتجى لى بيتك لى شنو بيت الحلال أخير من الذواعة والانطلاقة لما سمعنا كلام المرأة أخذ الأسطى يسألها من جهة أخرى وبعد مداولة الحديث ظهر لنا أن صناعى النعلات له زوجة وأولاد تركهم وراء ظهره واتخذ له صاحْبة وسكت لا خوفا من الله ولا حياءً من الناس وبعد أخذ ورد أصلحنا بينهما وتعهد لها بأنه لا يعود إلى مثل هذه الفعال لأن الواحد لما يتزوج الأحسن له يتوب من هذه القبائح وما كادت تخرج نسيبته من باب الدكان حتى أخذ الأسطى يلومه ويقول حرام عليك يا شيخ السكر ده بطله إنت صاحب أولاد وفى أثناء كلام الأسطى دخلت مرأة من باب الحوش لم تدخل إلى محل الصناعية فلما رآها الأسطى أخرج إليها شيئًا من الفلوس ثم رجع إلى مكانه وعند خروج الأسطى أخذ صناعى النعلات يقول بتشوف المرأة (البره دى صاحبته لا يخجل من الشيب ألفى راسه) وكلنا فى الهوى سواء ونحن الصناعية منهم تعلمنا وما كدنا نفرغ من هذه المشكلة حتى اعترضتنا مشكلة أخرى وهى دخلت علينا مرأة معها ولد صغير عليه جلابية ممزقة يظهر من تحتها جسمه ولما رأت الأفى أخذت تقول له سمح يا فلان بارك الله فيك تأخذ فى اليوم ريالاً ونص وأخوك عريان واسم العيش فى البيت ما فى ولنا يومين ما ولعنا النار فى البيت والرسول عليك ما بتخجل أختك تبقى تخيط الطواقى فى البيت وتأكلنا

الكسرة وإنت الصبى منضف هديماتـك وجارى مع بنات الناس أليتك إن كنت بت ياجناى وخرجت زعلانة وأنا (تقول صبت فوقى مطرة) وأخذت أقول فى نفسى يا ليت إن كـان بنت لأن البنت أنفع منه فهى تعـيش أخيها وأمـها من خيـاطة الطواقى والصبى الذى يجـر التمـساح من البحـر يكوى هديماته ومن قهوة إلى قـهوة ومن سكرة إلى أنداية وإذا رأيته فى الشارع يمـشى كأنه يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا كبرياءً وعجرفة وإذا كانت هناك وقاحة ولا شكلة تجـد عكازه أطول من لسانه ويا سـاتر أسـتر كل هذا جـرى فى نفسى وأمـا الصناعى الذى وجه إليه هذا الكلام أتظن أيها القارئ انكسف أو شعر بأن هذا الحديث أشد آلاما من السلاح كل هذا لم يحصل بل أخذ يغنى ويقول:

والله يا نابرات الوجن   صد دهرى وقلب المجن

فعـجبت كثيـراً من هذه النفوس التى لا ترحم والديها ولا إخـوتها بل أقصى أمـانيهـا السكر والعـربدة والتمـادى فى الفسـاد ولا هم لها غـير هذا وسألت الله أن يخـلصنى على أسن حال هذا مـا رأيت من أخلاقـهم أما من خصوص الشغـل الذى دفع ثمنه سبابى المراكيب التاجر فـقد قرب أن يخلص وكان اليـوم الذى أنا فيه الأربعاء وفى أثناء وجـودى بدكان السرماطى حـضر الرجل الذى يشتغل سبابى فى الجلود وهو يطلب الأسطى دينًا قديمًا ودفع إليه كميـة من الجلود لأجل تمشية حال الدكان ويتـمكن من خلاص الدين القديم والجديد ونظر السبابى يمينًا وشمالاً فى جنبات الدكان فرأى الشغل على وشك الخلاص فاطمأن وأخذت أسارير جبهـته تنطلق بعد أن كان صارى وشه وبعد حديث طويل فى مسألة المراكيب ودفع الدين القديم انتهى بهما الأمر على أن باكـر الضحى يأخـذ الأسطى هذه المراكـيب ويسلمـها إلى الرجل فى دكـانه وخـرج السبـابى على هذا الوعـد وبعـد شـوية جاء التـاجـر الذى دفع عن

(كورجة) المراكيب الفلوس وهذا الشغل معمول على ذمته فلما رأى المراكيب على وشك الخلاص تأكد أن يوم الميعـاد المعلوم يستلم بدون كلام ثم تكلم مع الأسطى فأكد له بـالإيمان والحرام أن هذه المراكيب لأجله وباكر صـلاة الضهر تجيك فى دكـانك وخرج التـاجر على بركة الله ومـا كادت شـمس هذا اليوم تغرب حتى تمم الأسطى جميع المراكيب حتى (الكركم) وفى صباح هذه الليلة رد الأسطى الشغل وضـرب خماسه فى سـداسه حتى استـقر به الرأى أنه لا يدفع إلى تاجر الجلود شيئًا ولا يودى إلى تاجر المراكيب نعلاً واحدًا بل حمل الشغل وذهب به إلى طرف السوق وباعه وأتـى إلى محله ودفع إلى الصناعية حسابهم والعاوز دين أداه لأنه إذا لم يدينهم علاوة على حقهم لا يحضر منهم أحد إلى الشـغل وكان هذا اليوم الذى باع الأسطى فـيه الشغل يوم الخـميس وكان الأسطى والصناعية جميعهم ثيابهم فى غاية النظافة والظهرة والمكوة فلما رأيتهم على هذه الحالة سألتهم عن السبب فقالوا لى عندنا عازومة وحس نجى ثم خرجوا جميعًا ولم يبق معى فى المحل إلا صبى الدكان الصغير فأخذ أسأله عن وقت مجىء الأسطى فضحك حتى كاد يقع على ظهره فسألته عن السبب فقال لى اليـوم الخميس وباكر الجمعـة وبعده السبت مخدرين والأحـد أصفر والاثنين. . أم اليـشتـغل ويوم الثلاثاء تعـالى تلقى الأسطى موجـودًا فى هذا المحل فقلت وضح لى حديثـك يا جنا بتقول كيفن فـقال لى الصبى الأسطى والصناعية الليـة عندهم سكرة لأن كل سرماطى فى يوم الجمـعة تجده سكرانًا وفى يوم السـبت مخـدرًا ويوم الأحد يمكن يـفطم السكرة ويوم الاثنين يدرج حتى يوصل مـحل الشغل ويوم الثلاثاء ياداب يقشطوا لقـرم ويقولوا بسم الله فلما سمعت حديث الـولد قلت فى نفسى لا فائدة من الجلوس ههنا وصرت كل يوم أتردد على محل الأسطى لظنى أن الصبى ربما يكون كضابا فى أخباره

ولكن ذهبت الأيام الثلاثة ولم يحضر الأسطى ولا الصناعية وفى اليوم الرابع وجدتهم وبعد السلام جلست وأخذت ألومه على تأخير مركوبى فما كدت أخلص من حديثى حتى حضر الرجل تاجر الجلود وهو فى أشد أحوال الغضب وأخذ يقول يا أسطى فلان هذه المعاملة بطالة أدفع لك ثمن الشغل وتبيعه ما بتخاف الله أعوذ بالله السميع العليم من السرماطية ولكن الضبح فى الميت حرام وأصبح التاجر أمام الواقع والأسطى أباطه والنجم يا ربى كما خلقتنى ولم نفرغ من هذا الرجل حتى جاء سبابى الجلود وما كاد يقع نظره على الأسطى حتى أرغى وأزبد وأخذ ينبذه بقوله يا قليل الدين ويا منافق ويا أكال حقوق الناس ألا تخاف من الله وأما الأسطى كأنه صبت فوقه مطرةُ وآخر كلمة قالها للاثنين البدوره أعملوه أنا قدامكم فلما رأيت حديثهم ربما يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه تداخلت فى الأمر وبعد أخذ ورد اتفقنا على أن يحضر سبابى الجلود وتاجر المراكيب فى يوم آخر يكون فيه الاتفاق على الخلاص إنشاء الله ثم خرجا إلى حال سبيلهما ولما تحققت من خروجهما أخذت ألومه على هذه الفعال وأذكره بهذا القول الحكيم (إن الدين عند الله المعاملة) وهذه الأفعال حرام عليك ألست مسلمًا ولك دينًا يحرم عليك هذا الغش فنبيع المراكيب للرجل ثم تبيعها لآخر أليس يكون مثل هذا العمل سببًا لوقف حالك وتعطيل أشغالك لم لا تشتغل طول الأسبوع وتبطل يوم الجمعة فقط وفى هذا اليوم تزور أهلك وأقربائك وأصدقائك لتوثيق عُرى المحبة بين الأهل والإخوان وترتاح من تعب الأشغال ثم يوم السبت تقوم إلى أعمالك وأنت نشيط ألا يجب عليك ترك الخمرة وشربها وقد نهاك الله المنتقم الجبار ألا تخاف عذابه الأليم أتدرى ماذا قال لى الأسطى بعد هذه النصائح (المابيهديه الكريم تعبان) وأما هؤلاء السبابة وتجار المراكيب كثيرًا ما يحلفون

بالله العظيم للمشترى بأن هذا المركوب جلده جلد تيس ونعله من أحسن ما يكون وهو من جوه ربما يكون مبطن من الطين ومن أعمالكم سُلط عليكم ومن غش أخيه سلط الله عليه من يغشه والدينا يا شيخ على دايره الواحد منا يشيل طاقية ده يلبسها ده وحلالها فوق وصنعتنا هذه الله لا يجعلك من أهلها فتجد الأسطى مننا مطلوبًا لتجار المراكيب وتجار الجلود والنعلات والسبب فى ذلك أن الصناعية من الصغير إلى الكبير بصاحته أضف إلى ذلك أن الصناعى يشتغل فى الجمعة أربعة أيام أو ثلاثة أيام وما يتحصل عليه يضيعه فى سكرة الجمعة ويصبح السبت مخدر من الخمرة ويوم الأحد أصفر ويوم الأثنين يمكن يعديه نوما من تعب العربدة وفى بعض الأحيان يكون الصناعى له صاحبة وتحلف برأس أبيها إن كان ما يجيب ليها فركة طلقنى ولا توب كرب ولا مركوب من الدهنى تكسره طق ما يدخل بيتها ويمكن هذا الصناعى عليه مدار الدكان فيضطر الواحد منا من ساقط للاقط يجيب الفلوس من (تحت الواطة) والأغرب من ذلك قد يكون عندك صناعى شاطر وأنت فى حاجة إليه فيسلط عليه أحد الأسطوات (ويتفن ليه - تحت - تحت) ويقول له أخرج وأنا أسوى لك اليومية كذا فما يكاد الصناعى يسمع هذه الكلمات إلا ويطالبك بزيادة يوميته وإن لم تفعل يخرج وربما يكون الأسطى الأخير عنده قرشين شوية يدفعها إلى الصناعى الذى يشتغل معك فما يكاد يتسلم هذه النقود (إلا ويعبى سكرة طيرى) وبعدها يذهب إلى من أعطاه هذا الفلوس يشتغل معه فنجدنا يا شيخ على لهذه الأسباب وغيرها الواحد رقبته مليانة بالديون من جيهة السبابة وتجار المراكيب وتجد الصناعية بطنهم مليانة من جيعتنا لأننا إذا لم نسلفهم يخرجون منا وهؤلاء الصناعية لا يصرفون ما يستلفونه من الفلوس إلا على بنات الهوى لأنه لو كان يُصرف على أهلهم كان البطن ما فيها وجعة ولما

انتهى من هذا الكلام قلت له الآن ننتقل إلى مسألة مركوبى لأنها هى التى تهمنى كثيراً فقال إن شاء الله باكر يخلص وفعلا فى الصباح أتيت إليه واستلمت النعل لكن بعد هذا التعب الشديد كما أنى عرفت كثيراً من أخلاق هؤلاء الإسكافية الذين لا هم لهم إلا السكر والفساد بل عجبت لمثل هؤلاء نصف دهرهم سكر وعربدة والنصف الآخر عطلة وما يتحصل عليه من النقود يصرفونه على الدعارة والفجور أما أهلهم من أمهات وإخوان وأخوات وآباء وعيال فليموتوا وليناموا على عنقريبات من حبل وإذا ذُكر الإسكافى تصور الإنسان العربدة بمعناها وإن كان فيهم بعض ناس أتقياء لأن كل مهنة لا تخلو من إنسان يخاف الله وأن العقلاء منهم لهم من المزاح والنكات ما يضارع الممازحة التى تقع من معربديهم وإلى هنا انتهى حديث السرماطى ويليه حديث المزين.

الحديث الخامس عن المزين

حدثنا على قال قصصت عليك ما شاهدته من أخلاق الإسكافية وعدم وفائهم بالوعد مع السبابة والتجار الذين تربطهم معهم أواصر المنفعة فكان الواجب عليهم أن يجعلوا الصدق والأمانة أساس معاملتهم وأن يتركوا البطالة والعربدة وشرب الخمرة وهى حرام عليهم فى دينهم الإسلامى كما يجب عليهم أن يصرفوا ما يتحصلون عليه من النقود فيما يعود عليهم وعلى آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم بالنفع فهو خير لهم إن كانوا يعقلون وأما حديثى اليوم فهو عن المزين لأننى لما خلعت هدوم أعراب البادية ولبست صياب أهالى الحضر وأبدلت (الشبط) بالمركوب رأيت أن شعر رأسى قد طال فمن المستحسن إزالته لأن إزالة شعر الرأة والأباط والعانة وقص الأظفار فى كل جمعة على الأقل من الأشياء المطلوبة شرعا كما إنها من جيهة تفيد الجسم صحة وعافية وبناء على هذه الفكرة قصدت دكان المزين وإذا قلت مزين فإنى

لا أعنى الحلاق الـذى أقام فى وجهـات دكانه عـدة مرايات فإذا دخـلت أيها القارئ أو دخل مثلـك من أهل المدن فإنه يرى نفسه فى تلك الجـهات الأربعة بصورته الشـخصية لا أقـصد هذا الحلاق لأنه من الدرجـة الأولى من مراتب المهنة والأجر الذى يدفع إليـه باهظًا ومرتفعًا بل أقـصد المزين الذى فى بعض الأوقات يقابلنا فى طرق البلدة وينادينا بقوله يا شـيخ العرب (ما بتدور تتزين) فإذا كان الواحـد منا مستعـجلا زينه فى ضل الصباح أو ضل العـصر لكن أنا الآن لم أ:ون أرتض هذه المعـاملة فـذهبت إلـى دكانـه وجلست على الدكـة وخلعت العمة وأتى المزين بالفوطة الحمرة ودرعها فى رقبتى ومسكنى الطشت وغسل رأسى بالصابون وسن الموس فى نعاله وتارة يسنها فى القاش وشرع فى الزيانة وقـبل ابتـداء الزيانة ظننت فى نفـسى أن هذه الموس تكون سنينة جـدًا بحيث لا أشـعر بحـركتـها فى رأسى لكن مـا كاد يجرها علـى رأسى حتى تذكرت أيام الصغر التى مرت وما يجرى منها فى عملية مثل هذه الزيانة لأننا لما كنا عيالاً صغارًا ورأس الواحد منا يشعف ويطول ويريد أهله يحتالون على زيانته يقلون له بعد يتزين لم شعـر رأسك وأدفنه فى (الواطة) وبعد سبعة أيام ينقلب (بيضة جـدادة) فتجد الواحد منا فى حب هذه البـيضة الخرافية يتـصبر ويمنى نفـسه بها ويتـحمل حـرارة الموسى ودبيـبها الذى يشبـه دبيب [الملودة] وسيرها فى البـلاد المعيشة وسـبب حرارة هذا الموس أولا أنها ميـتة وثانيًا من يريد يزينك من أهل البـيت متطفل على هذه المهنة وبعـد انتهاء عـملية الزيانة تظل فى الصباح والمساء ترقب الحفرة التى دفنت فـيها الشعر هل انقلب بيضة أم لا وتمر الأيام السبع وأنـت فى اعتاقـدك أنه سينقلب وقـبل الانقلاب يمكن شعـرك يعود كما كـان فيحتـالون عليك بتمثـيل دور آخر وهكذا هذا كله فى حال الـصغـر لكن الآن بما اتسلى وأنا رجل كبـير والصـغر له أحـلام لذيذة

وخرافات تنسنى حرارة الموسى وآلامها ففكرت بما أسلى نفسى من هذا المحراث الذى زحف على رأسى وأخيراً طرأ لى السؤال الآتى بعد أن كاد يغمى على من حرارة الموسى التى لا أشك أنه ورثها عن المعلم الأول لهذه الصنعة قلت له أخبرنى يا شيخ فلان عن أحسن شىء رأيته فى حياتك وأقبح شىء شاهدته فيها - وكان ظنى أن سيجيبنى عن أغرب الأشياء التى عرفها فى حياته لأحيط بها علمًا ولكن أجابنى بقوله أما أحسن الأشياء التى رأيتها فى حياتى هى أن الرجل إذا دخل دكان حلاق وأزال شعر رأسه فيجب عليه أن لم يكون برمكيًا فليكون منصفًا لأن هذه المهنة مبنية على مكارم الأخلاق وأما أقبح رجل رأيته فى حياتى فهو رجل أتانى وبعد أن زينت له رأسه ودقنه وشنبه وأباطه وربما قلم أظفاره وإذا دفع دفع لى شيئًا لا يرضى الإنسان أن يدفعه للشحاة فلما سمعت كلام المزين أدركت المغذى فى الجواب وقلت فى نفسى هذا المثل (دق القرفة خل الجمل يعرف) لأنه يقصد من حديثه أن يقول لى يجب عليك أن تكون برمكيًا ولا تكون عربيًا (أشو) فقلت له (ولا مؤاخذة) أنتم معاشر الحلاقين والمزينين تستاهلوا هذه المعاملة فقال لى لم فقلت له أصبحتم لا تعطون الصنعة حقها من حيث إنها صناعة ومن أخذ الأجرة حاسبه الله بالعمل فإذا جاءكم إنسان من المتقمشين تقدمون إليه أحسن الفوط وتقصون شعره بأحد الأسلحة حتى يكاد ينام بين أيديكم وأما إذا جاءكم أحد مثلى تقصونه عذى من وشك وهذه العاملة ليست حميدة والواجب على الصناعى منكم أن يعامل الله بذمة واحدة ويعامل الزباين بهذه الذمة فقال لى هذه المعاملة تكون عند أهل المحلات النظيفة أما نحن فلا فقلت هذا قول باطل أليس توجد موس سنينة عندك حتى تزينى بهذه المَلْودة ألا تخاف من الله حتى تركت رأسى يتشايح من حرارتها ولما فرغت من كلامى

كـان المزين خلص من إزالة شـعـرى وأتى بقليل من الزيت ومـسح به رأسى فأصبح أشـبه بالجبنة المسـحة التى ترارى فى عين الشمس ثم لبسـت طاقيتى فأصبح زى الضـبة فى العكاز بعد ذلك أتيت بالعمة وأظنهـا سبعة أذرع وفى النهاية قالى المزين بعـد دفع الأجرة هنيئًا أو نعيـمًا لا أدرى فقلت له أنعم الله عليك وأسأله تعالى أن يهـديك ويوفقك لتغيير مـثل هذه الأمواس وأظن بعد الآن أحلق كارى بالمكنة عند حلاق أرقـى من هذا شوية وإلى هنا تم الحديث الخامس ويليه الحديث السادس عن الإنداية.

الحديث السادس عن الإنداية

حدثنا على قـال قد أخبرتك أيهـا القارئ عن المزين وما جرى لـى معه فاليـوم حديثى من أطرف الأحاديث لاحـتوائه على أخبـار المريسة وشاربيـها الذين لعب الشيطان بهم حتى حسن لهم أن يبيـعوا عقولهم بكأس من الخمرة أم الكبـائر ولما كنت من أبناء الباديـة الأعراب الذين ليس ليـهم من التعـاليم الدينيـة ما يقـيهم من شبـاك إبليس اللعين فـقد قـدر لى أن أكون فريـسة له ويساعده على اقـتناصى أصدقاء السوء الذين يحبـتهم حين قدومى إلى المدينة لأن الصداقة والخوة أصبحت فى هذا الزمن كلها معلولة لأنك كثيرًا ما تُشاهد الناس يميلون إلى بعضهم البعض لعلل وأقـراض حتى إذا انتهت تفرقوا ولكن ياللأسف بالبغضـاء والشحناء بل قد احطت الأخلاق حـتى أصبح الصديق لا يُصادق الآخر إلا لأجل أن إخوته حسـنا ليحظى منها بنظرة أو يكون صاحب مال ليتدين منه ثم يفارقه بالسب والشتم ولكن صحبتى مع هؤلاء الإخوان لم تكن من أجل المال ولا لشيء آخـر بل كانت صحـبة مراسـة أولاد كأس فكنا نذهب إلى أمكنة المريسـة وهى فى الغـالب تكون خـارج البلد وفى كل بيت منها [راية] طويلة جدًا تنادى أولاد الكأس وكان أول عهدى بها أننى كنت مع

أحد الأصدقاء فقال لى النادى العربى شفته فقلت له لا وكنت أظن أن النادى مكان يجلس فيه الناس للمآنسة لكن عند وصولى تبيّن لى أنه شيء آخر له نظام وقانون اسمه (العدل) وكنت فى هذا اليوم ضيفًا كريمًا على هذا الصديق فدفع لى (حق العدل) وهى أول مرة شربت فيا البقنية وكان صديقى زبون رسمى له مع جماعة آخرين (تايه) يجتمعون فيها فى كل يوم ولهم رئيس يسمى (شيخ التاية) يدفعون إليه الاشتراكات وهو مسئول أمام ست المريسة التى تحاسبه عن قيمة (الدلالق) التى تقدمها إليهم وهذه النايات ليست فى درجة واحدة لأن من يشرب المريسة ليس مثل من يشرب (أم بلبل) لأن الأول فى الدرجة الثانية والثانى فى الدرجة الأولى وإن كانوا الجميع يستحقون غضب الله وسخطه بشربهم الخمرة المزيلة للعقل الذى هو أفضل شيء يتميز به الإنسان عن الحيوان الأعجم وكل تاية لها محل خاص تجلس فيه ولا تسمح صاحبة الخمارة لأى تاية تجلس فى مكان الأخرى إلا إذا تحققت أن أصحابها لم يحضروا فى هذا اليوم كما أن كل تاية تأتى (بالمزه) التى تشتهيها من (حوت وبصل وفجل وليمون ولحمة) أما (الشطة) ومنقد النار الذى تنجض عليه (الشية) فإنهما من صاحبة الأنداية كما أن عليها أن تحضر (البروش ويمبر شيخ التاية) وكنت فى هذه المرة محترمًا جدًا بين أفراد تاية صديقى الذين قابلونى بكل بشاشة بل من شدة الاحترام تنازل رئيس التاية عن كرسيه الخاص وأجلسنى عليه وكانت (المزة) فى ذلك اليوم من حسن الحظ (لحمة ضانى وكترابة الشية ما تديك الدرب وكان المجلس فى وسط احوش والهمبريب ضارب من جميع الجيهات وكانت المريسة بالتيبار والشراب بالنقار وفى بعض الأحوال بالقرع الكبار وحلالنا الشراب وامتلأت البطون ودبت الخمرة فى الرؤوس وأصبح الواحد مننا إذا أراد أن يمشى زى الناس ياخد ليه عترتين ثلاثة وكنت أظن أن بُرام المريسة من كثرتها لن نستطيع تخليصها لكن المريسة كانت

سمحة بلحيل الواحد يشرب منها ما بروه حتى طب كملناها عن أخيرها وكان الليل قد انتـصف وأخذت كل تاية فى توزيع أفرادهـا وكنت أنا وصديقى من ضـمن الذاهبين فكنا مـن شدة السـكرة يميل أحـدنا على الآخـر وفى بعض الأحيان نقع أربشى فتطير العمم من الرؤوس والمراكيب من الأرجل والعكاكيز من الأيدى وبعـد انبطاحة قـليلة يمسك أحدنا بـيد الآخـر ثم نقوم وبعـد أن توسطنا داخل البلد ونحن متـوجهون إلى منزلنا تخـيلنا أن المطرة نزلت بكثرة حتى ملأت الأرض فقلعنا المراكيب وشمرنا السراويل ثم تمادى بنا الخيال حتى تكونت الأمطار سـيولا فـبحـرًا متـلاطم الأمواج إذًا وجب أن نعـوم فطلعنا الهـدوم وأخذنا نسـبح فى التـراب وفى بعض الأوقـات يضرب الواحـد (منا الهوبة ويقول للآخر التمـساح جاك يا زول أوعى منو) ونحن على تلك الحالة البحرية وإذا بجماعة من الناس وقفوا مبهوتين من هؤلاء المراسة الذين توهموا ضوء القمـر بحرًا متلاطم الأمواج فإذا هم يسـبحون فيه حفـاة عراة الأجسام وكان مـن سوء حظنا أنهم يعـرفوننا حق المعـرفة ويعـدوننا من عقـلاء الناس الأتقياء ولكن تبين لهم الخيط الأبيض من الأسود بهذه الفعال القبيحة التى لا تليق بالإنسان ولا أطيل عليك الحـديث أخذ الجماعة يسـتروننا بالهدوم ونحن نعارض أشد المعارضـة بأن ثيابنا ستبتل بماء البحـر وبعد مجهود كبـير ألبسونا الثيـاب وأخذوا يدرجـوننا حتى أوصلونا منازلنا ثم ذهبـوا إلى حال سـبيلهم وبات الواحد مـنا نص على العنقريب والنص الآخـر على الأرض إلى طلوع الشمس وبـعد أن شربت عـدة فناجين من القهـوة المرة البكر فقت شـوية ثم نظرت إلى جسمى فوجدت به خربشة كثيرة من الحصحاص والحجارة والقبشة الشديدة من التـمرق على الأرض التى حـسبناها بحـرًا فأصبـحت أسأل أهل البيت عن السبب فلم يجبى أحد فطـلبت (موية وتبردت) بها ثم توجهت إلى

السوق وكنت من عادتى الذهاب إلى أحد الأصدقاء من التجار فأقيم عنده قليلا فلما رآنى أخذ يضحك حتى رقد على قفاه فسألته عن سبب الضحك فلم يجبنى فى أول الأمر فأكدت عليه فقال لى بشرط أن لا تزعل فقلت له أقسم لك أننى لا أزعل فأخذ يقص على الحكاية من أولها إلى آخرها وأخذ يلومنى على هذه الفعال الشنعاء ويعظنى العظات الطيبة فأكدت له أني لا أعود إلى شرب (المريسة أم المصايب) فشكر لى هذه التوبة وسأل الله أن تكون صادقة ولكن المراسى فراقه للبقنية قاسى أن تأبى اليوم باكر بعود ثم أتى هجرتها عدة أيام ولم ألاق صديقى القديم لأن السكرة التى تركتنا نعوم على الأرض أعلت صحته حتى رقد أيامًا عديدة طريح الفراش ولما بلغ العافية أتانى وأخذ يقول لى لنا زمن من (التاية) والدنداية يعنى المريسة فقلت له أننى تبت لا يمكننى أعود إلى شربها فقال لى وهو كذلك لكن نذهب لأجل السلام على إخواننا فى الأنداية ثم نعود فقلت له أخشى من العودة إلى محلات الخمور أن أعود إلى شربها فدعنى وشأنى فأبى ألا أن أذهب معه لكن بشرط أن لا أشرب فتوجهنا إلى نادينا القديم وبعد دخولنا وجدنا التايه فيها الصحبان القدام وكان (العدل) ينقص منه رجلان ولما جئنا تعين أن نكون كمالة العدد وأنا شخصيًا دفعت حقى ولم أشرب فى أول الأمر ولكن ما كاد الشراب يدور حتى قام الرئيس ومد إلى القرعة وقال على بالطلاق إن كان تشرب يا فلان فقلت له مرجوعة فى مسماها أنا تبت فلا يكون فى زعل يا ريس فقال يا فلانة مدى ليه الكاس فجاءت الأنتاية وبعد أموت ليك وتدفنى ونسيبتك تناولت الكاس وتر قطعت لأن طلاق المراسى وحرامه وتوبته ومواثيقه ليس لها محل من الأعراب فهو يحلف بالله العظيم كاذبًا لأجل ذلك تجد أغلب الذين يشربون الخمرة لا عصمة لهم لأن الواحد منهم فى حالة السك يحلف بالطلاق والحرام ويقع عليه وهو لا يزال يقعد مع زوجته ولكنه بالحرام فشرب

الخمرة له مفاسد كثيرة بل مضر بالصحة والعقل وسبب فى القتل وكثير من الجرائم والحوادث علاوة على ذلك شارب الخمرة عليه غضب الله وملائكته وينتظره فى الأخيرة عذاب أليم ولنعد بك إلى التاية التى كنا بصددها وكان فى ذلك اليوم الشراب من أم بلبل أو ما يسميه المراسة بأم نارين ونار الآخرة الثالثة لشاربيها وهذا الشراب شديد جداً إذا شرب منه الإنسان كاس والتانى يتكلم بر من رأسه وكانت المزة كبدة ولحم والشية وقفت قرش ونص والدخان الجمبك ما بتشوفه وكانت الدنيا حر والشراب حار وهذه تمثل هيئة أصحاب النار وبعد أن دار الشراب مرتين ثلاثة وأخذت الخمرة فى الرؤوس مكانها وبعدها بشوية شعشعنا وابتداء الغنا فعلى كل واحد من الجالسين أن يجيب الغنوة التى يختارها فابتداء أحد منهم يقول قال قال قال.

الشراب حد القمر   والبشر بالعيش عضمة أنسمر
البصلى ويوم شن عمل   والفايدة فى طيبة العمل

وقال الثانى منهم يدوبى:

يا طير شن مشيت سلم على البنريدة   قولها الولوف ماسكاه حمة شديدة
من فرق الجيدية ألفى جمالها فريدة   إن ما جات معاك جيب لى سبيحة فى ده

وقال الثالث منهم قال قال يدوبى:

الليلة البنات أجمعن للمرقة   لابسات قرمصيص مات قنعن بطرقة
ستأتى الظراف أمات كليمة سرقة   يدن سيد غرام بالطبايق زرغة

وقال الثالث أيضًا وكان صوته حسنًا يدوبى:

الليلة الغرام حرك على دلابة   مرًا شرب نار مرًا يغير بحرابه
من شوفة الرخس داك المفرهد دابه   دمع العاشقين يسرف على أحبابه

وقال الرابع منهم يدوبى:

يا طيــر الأراك بالله كــيف كــلام   خاطبنى الفـيريع قـال لى مى نضام
أبوها معـجنة وقديمة تبرى حمـامة   يا مرضان شفـاك أنا روحى تحت زمامة

وقال الرابع أيضًا يدوبى:

أطنا شر ربيع شـفنا احتفـالا جامع   شفنا الجيل عموم متجمعات فى الجَامع
بالعين ما نظر لـكن سمعنا مسامع   يا رب يا كريم تجـمعنا فـيك يا جامع

فلما سـمع أحد الجالسين هذه الغنوة قام وهزّ فى الغنـاى وقال له حرم أكان تبشر أنا (كركاب) مطرة بلا حسـاب مريسة بلا مشكاب آع أرقد يا عيش أنا جرابك أنا الشافوا أبوا أنا ضقل الشاردات أنا صاقعة الهواء ثم جلس وبعد جوطة من السكارة أنصتوا لقول الخامس:

قال الخامس قال قال يدوبى:

الليلـة البنات أجــمـعن فى شــان   زى الخـيل بتاتًا فـى بطن حشـا نن
الهندى الرفـيـع قلبن فـوق نشـانن   الجرى والشـيوم كل التـعب على شانن

وقلت أنا لما جاء دورى أدوبى:

كـبـرت يا جـمل مـا تقلع الدراب   يلماخد على الهقش وجرى الداداب
سيدك ما بخاف أن كشكشنا وحراب   وما بيهسف على روحًا وراها عذاب

وقلت أيضًا أدوبى:

كربت يا جـمل لا تقلع الضـانقيل   يلماخد على الخـقش وجرى فليل
سيدك ما بخـاف أن كشكشلو الخيل   وما بيهسف على روحًا وراها نكير

ولما خلصت من الغناء قال شيخ التاية جاتكم تارة عشرة عشرة حق الفجل والليمون فدفع كل واحد منا نصيبه كما أننا دفعنا نص نص حق مريسة نبرد بها حر أم بلبل التى صبحتنا من شدة السكرة زى القرع فى الموية فى وقت الريح الشديد ولما يريد الواحد مننا يعمل زى الناس يمشى خطوتين لقدام وثلاثة لوراء والمراسة أكرمك الله زى السبلوكة المقدودة تمتلى من هنا وتفرغ من هناك ولذلك تجده يشرب برمتين أو ثلاثة من المريسة أو دلقين أو ثلاثة من أم بلبل مع العلم لو أتيت إليه بصحن كسرة لأشبعه لكن يشرب أردبًا من العيش إذا كان مريسة ولأجل ما تقدم تجد العامل الوحيد فى غلاة العيش المراسة عليهم علامات النجاسة والخباثة وتجد كثيرًا منهم لا يأكل الكسرة عدة أيام بل يكتفى بشرب الخمرة فى المساء وفى الصباح ولنعد إلى ما كنا بصدد فقد طاب لنا الشراب وألا تنسى أن مجالس السكر لابد أن تختم بالعكاز أو بالسكين والنهاية الموت الحمر وأعوذ بالله من إنسان يموت وبطنه مليانة من المريسة فلا شك أنه يكون من أهل النار وبئس القرار وكان من ضمن القاعدين معنا (صاحبة) شيخ التاية وكانت تعبى لنا الكأس وتشوى لنا اللحمة وتقوم فى بعض الأوقات (بنقرش الكوز أو علبة الكبيت) أو ترقص وتدى كل واحد منا الشبال وفى هذا كله لم يكن أحد منا يتعد الآداب المرعية أو يأتى بأى شىء يعد إهانة لهذا الرئيس لكن المجالس لا تخلو من الهفوات التى تكون سببًا لإثارة المعارك الدموية فقد حصل من أحد الجلساء فى حالة شدة السكر شىء عدّه شيخ التاية مهينًا لكرامته وهو أن أحد الحاضرين (قطع براق) لصاحبة شيخ التاية وظن أنه لا يراه من شدة السكر ولكن الشيخ كان جرقًا مهما يشرب من مريسة وأم بلبل فهو سندالة ثابتة يرى ويسمع بعينه (وأظنينة) وحافظًا لقواه العقلية وإنسان هذه صفاته لا يستهان به فقد رأى ما حصل من

ذلك الجالس فكاد يتيمز من شدة الغيظ وأخذ يفتش لعكازه وكان اسمه (سجم اللاقوتا) فلما وجده وضعه بين كرغيه ثم شمر إديه حتى ظهرت السكين للناظرين فستغربنا هذه الهيئة التى لم تجر بها العادة ثم أخذ يكورك لصاحبنا بقوله فلان ود العفنة بترفرف لصاحبتى فما كان من الآخر إلا أن قال له شوف السلفس قايلنى بخاف منك أطلع معاى الخلاء إن كان ما أجبيك جارى ترس أنا أبو يا زنب وكان صاحبنا هذا من الهراطين الكضابين الذين يتحدثون ولا يفعلون ولكن كان شيخ التاية قليل وقصير والرجال صناديق مقفلة تنعرف بعد لافتح وكان صاحبنا الخاطى بالعكس سمين وطويل وبقدر ما حجزناهم أبو ينقرعوا وأخيراً دار العكاز كره وكاو ولب وبوت وبعد شوية نشوف ليك الشيخ شال الراحل وقيل فوقه وخنقه وخل كرعينه يتبتًا وعركه بالواطه حتى قطع النفس وبعدين جر ما تجر رفعناه منه وأخذنا نقول لهم اللوم القاسى يا فلان وغير ذلك من الكلام حتى هديناهم بعد حين لكن الدلاليق لم يفضل فيها واحد بل كلها تكسرت ويعوض الله ستهن ويهديها ويهدينا معاشر المراسة من شر البقنية التى من شربها فقد عقله ومن فقد عقله جن ومن جن عربد ومن عربد ضرب ولا ضربوه ولا قتل ولا قتلوه وصدقوا القائلين أهل العقول فى راحة وليس شكلة المراسة يدفوا بنارها براهم ولما كان المثل القائل الحجاز ليه عكاز فقد أخت لى عكازين تلاته وعلى كل حال سلامة ونحمد الله الماوقعت رقبة لأنك تجد سبب القتل أما أن يكون من الخمرة أو من النسوان وقل أن يوجد قتل ويكون سببه أشياء أخرى فالعاقل يجب عليه أن يكف من تعاطى هذه الخمور بجميع أنواعها لأنها حرام ومضرة وتسبب كثيراً من القلاقل والفتن بين الناس وكفى الإنسان معرة أن يكون الحيوان الأعجم أسعد منه حالا لأنك إذا رأيت الحمار أو أى بهيمة من البهائم

تجدها سايره على خط ستقيم بخلاف السكران فى حالة السكر فإنك تجدها يتخبط من حيطة إلى حيطة ويضرب هذا ويشتم ذاك بدون سبب ولنعد إلى العربدة التى حصلت وما أحدثته من الإتلاف والخسائر بصاحبة الأنداية فإنها لم تطلب تعويضًا عن خسارتها من هؤلاء الزباين ثم بعد ذلك خرجنا الأعمى يجر المكسح وافترقنا فرقتين فواحدة أخذت الشيخ لتوصله إلى بيته خوفًا من مهاجمة خصمه والأخرى أخذت الخصم الآخر وكنت أنا من هذه الفرقة فوصف بنا بيته وفى أثناء سيرنا تقابلنا (مرة) وما كاد نظرها يقع على صاحبنا حتى أمسكت بطرفه ولما سألناها قالت ليها عنده سبعة قروش حقات مريسة وتكوس عليه ليها شهر وحلفت براس أبيها ما يمشى من هنا إلا بعد دفع الدين ونحن عدمانين الليم الواحد لأن المراسى من هؤلاء متى قبض حق المريسة اليومى يجب أن يترك العمل ويذهب إلى مقر الخمرة ويظل يشرب إلى آخر الليل وإذا كان له عيال أو بنات فليموتوا جوعًا وإذا كان شابًا لا يسأل عن أبيه وأمه بل همه الأكبر المريسة ولا يأنف أن يكون من زباين هذه الأمكنة القذرة النحطة وفى وسعه أن يكون من أحسن الناس إذا جد واجتهد وأقلع عن الفساد والكسل والخمول علاوة على ما فى هذه الأمكنة من الأمراض القتال من حلق وبجل وصفراء وكثير من الأمراض التى تنتشر بواسطة الساقطات من النسوان فاسدات الأخلاق اللواتى يترددن على هذه الدور الجهنمية التى جعل الله فى هذه الدنيا علامة أهلها رائحتهم المنتنة وهدومهم البالية القذرة وأجسامهم التى أحرقتها الخمرة بنارها ولهم فى الآخرة عذاب عظيم بما كانوا يعملون من الفساد ومن العجيب أن ترى بعض الصبيان المعروفين بأن أهلهم من خيار الناس مترددين على محلات الأنادى بلا خجل وعدلى وعدلك وسلوا جاتكم تارة حق الحوت والفجل يااللأسف وياللدناءة والانحطاط الأخلاقى الذى لا يليق بالصبيان الذى يرجى منهم أن يكونوا

رجالا بارزين فى العلم والتجار وغير ذلك من المهن الشرعية التى ترفع الناس إلى المقامات العالية بين الناس والعشيرة ومن العجيب أن المراسة الرسميين الذين لا يتركون الخمرة فى يوم من الأيام تجدهم فى الصباح أو الدقش بدرى يذهبون إلى الأنادى التى لهم فيها تايات فبدل الواحد يصبح فى بيته ويصلى إلى خالقه ويسأله أن يسهل عليه أسباب الأرزاق لا يفعل هذا بل يذهب إلى الإنداية أو بيت الخمرة ليشرب كأس (دقة) ثم يذهب بعد ذلك إلى محل عمله لا ليعمل بجد واجتهاد ليوفر بعض الدراهم للمرض أو للفرح أو للواجبات الاجتماعية التى يتعاون بها الناس بعضهم بعضًا ولقرش الأبيض لليوم الأسود بل يعمل لأجل يحصل على حق العدل فمتى تحصل عليه يهجر الشغل ويذهب إلى دار الجحيم والزنا والفجور ثم يتوجه إلى بيته فينام بما عليه من ثياب قذرة ثم فى الصباح يعود إلى ما كان عليه بالأمس وهكذا الحياة فمن يموت على هذه الحالة إلى أين يذهب أليس إلى الجحيم فيكون من المتوطنين فيها وأعد الله عذابًا أليمًا فليفكر متبعوا الشيطان من هؤلاء الأشقياء ما دامت لهم عقول يميزون بها الطيب من الخبيث وآذان يسمعون بها وعظ الله وزجره عن الخمرة من مريسة وأم بلبل ود كاى وعرقى وجميع أواع الخمرة ولا يعذر الإنسان بالجهل فقد أبان الله طريق الجنة وطريق النار فليختار الإنسان لنفسه ما يحلو ولنعد إلى المرأة فلما رأيناها مصممة على قبض الرجل ونحن ليس معنا شىء من النقود ترجينا بعض الناس الذين اجتمعوا علينا والدنيا لا تخلو من أهل الخير فدفع لها السبعة قروش ثم توجهنا إلى أن وصلنا إلى بيته وعُدنا إلى منازلنا بعد جهد جهيد وفى الصباح لما استيقظت من النوم وفكرت فى ما جرى ليلة أمس من فضائح صممت تصميما أكيدًا أن لا أعود إلى هذه الأمكنة ومن يريد الله به خيرًا يكون سميعًا للنصائح وإلى هنا تم حديث الأنداية ويليله الحديث السابع عن سُكر أولاد البلد.

الحديث السابع عن سكر أولاد البلد

حدثنا على قال قد أخبرتك عن السُّكر فى مواخير قذرة لا تليق بأى إنسان أن يدخلها وعن ما حصل لى فيخا ولكن الترقى كما يكون فى العلوم والمعارف والأخلاق يكون فى الأشياء المنحطة السافلة لأن العقلاء من الناس تجدهم فى هذا اليوم أحسن منهم بالأمس والجهلاء والحمقى تجدهم فى فسادهم يرتقون من درجة إلى درجة أرقى منها فى الرذيلة وأنا قد قُدر لى أن أ:ون من هذا النوع الأخير من شراب (أم توف إلى المريسة إلى أم بلبل إلى الدكاى إلى العرقى إلى الذبيب إلى الكونياك) إلى غير ذلك من صنوف الفساد لأنه بحر لا ساحل له والسعيد من (الغيف ويلبس هدومه) وإلا يغرق إلى الأبد إن لم يرجع إلى رحمة الله ويقلع عن الغواية إلى نور الهداية والعامل الوحيد الذى كان سببًا فى هذا الترقى صحبة بعض الصبيان الذين لا يجتمعون على فضيلة من الفضائل بل جميع اجتماعاتهم إما فى سكر أو غيره من المفسدات فقد عزمنا أن نعبى السكرة فى بيت واحد من العواهر فى يوم من الأيام ولما جاء الميعاد توجهنا إلى الدار وضربنا الباب وبعد شوية تسمع حس الباب قال سيك وبعد أن دخلنا (ككرب إنغفل) الباب وسلام منا وحبابكم من الطرف الآخر والغيبة دى وين يلجنيات واتفضلوا ودخلنا فى جوة الديوان فوجدناه مغشواً ومفروشًا ومرشوشًا وشباكين من السافل وشباكين من الصعيد والبرنده خشمها مقبل صباح وبعد فترة صغيرة أدينا ست البيت تجيب لينا قزبرة ولحمة لأن السكرة تبتدئ من قيزازة وتنختم بخراب الجيوب والعكاز وقيل بالطعن وبعد شوية جابت القزازة واللحمة والفنجال وكبت فى الفنجال ودفقته على الواطة وهذا الاصطلاح لا أدرى معناه ودار الكأس على الجالسين وكنت أنا أول من شرب وكان العرقى بكرى وشديد بلحيل يطير

للزول فى راسه ولما حصلت القزازة إلى نصهـا دخلت واحدة وسلام وحبابكم وبعـد جلوسهـا جـبنا ليهـا قـزازة لأن من نظام هذه البـيوت كل واحـد من الداخلين يجـيبون له طلبًـا لأن هذه من الواجبـات والاحترامـات التى يجب مراعاتها وهذه الأفعال من باب تبادل المنافع لأن صـاحبتنا التى نحن فى بيتها إذا كانت سكرة فى بيت غـيرها من أخواتها فى المهنة القـبيحة تقـدم لها مثل هذه الأشيـاء والمصاريف كلها على أولاد المـغفلين أكرمك الله وحـماك منهم الذين تجدهم فى مثل هذه البيوت يصرفون الفلوس ذات اليمين وذات الشمال ويمكن أهله فى البـيت ملوة العيش مـا عندهم وأخواتهم ينمن على عـنقريب الحبل وأدى الرجال ولاً بلاش وأدى الصبـيان الفناجرة الشطار ولنعد إلى نظام المجلس جلسنا زى عقد السوميت المفصل حبة بيضة وحبة سودة والشراب داير والسجار بالصندوق وبعـد أن قطعنا قزازتين تلاتة شعشعنا وشـوية العقل قال السلام عليكـم وفارقتنا وقـالت الوداع الوداع أيها الأخوان ولـما أصبحنا بغـير عقول انطلقت الألسن وانحلت زراير الجزالين الكبيرة وأخذت الريالات البيض والورق الأخضر أبو نخلة تفسح لنفسها الطريق وتريد الخروج وتحلف يمينًا أنها لا تقيم فى جيوب أناس باعوا عقولهم بقليل من الخـمر وباعوا صحتهم بهذه السمـوم القتالـة واختاروا رضـاء الشيطان على رضاء خـالقهم بل أصـبحت عقـولهم صغيـرة جداً حتى أنهم يغـترون بشكر ومدح هؤلاء السـاقطات فإذا فرغت جـيوبهم تنكرن لهم وقلن للواحـد منهم دى ريحتك ولاً . . إلى غـير ذلك من السـباب والشـتم بل قد يكـون الواحد من هؤلاء الصـبيـان يسافـر الأسفار الطويلة ويلم ليه كم جنيـه فلا يفكر فى زيادتها ونمائها بل يقطس ليلة واحدة ويقلع براهن ويبدأ من ألف با تا ثا لم نفكر فى هذه النتـائج السيئة بل تمادينا فى الصـرف بكل سخـاء بل نصرف صـرف من لا يخاف الـفقـر كأن

الواحد فينا عنده دربخانة ويعجننك بنات الهواء الواحدة فيهن كيف تجمع هذه النقود المتناثرة التى بين أيديـها فقد تدفع الريال لأجل تشـترى لنا منه صندوق دخان ونظـن إنها تجيب البـاقى ولكن الباقـى (يوك) وندفع حق عشـرة قزايز عـرقى تجيب النص والـباقى مـا فيـش ويمكن تجيب العـشـرة لكن تكُب من الواحدة فنجالا والتانى تنفخ القزازة وأتختها تحت الطرابيزة وبعد شوية العرقى كمل فـالسكران ودأم. . يدفع فى نفسـه وبعد حركـة وهميـة ترجع القزازات القُدامة ولا يعرف واحد من المغفلين كثيراً من حيل العاهرات التى تفوت على إبليس أبيـهن بل يمكن الدور يمثل أمـامـه بدون تكليف ويغنوله بقـولهن سنن البرامكة قبـيل يابامنة أحييتـها ويهز ويضرب كـراعه بالواطة وفى أثناء الطرب يمكن يشيل قفة من (البناضـورة) الحمرة وليعمل نفسه عتـبة يستحمل الدوس ونحن على تلك الحالة دخل علينا واحـد من الجنيات وبعد السـلام وحبابكم قدمنا ليه طلبًا وإلا النبذ البتعرفه براك يلحقنا وبعد أن جلس انقلبت قزازة فى الطربيـزة فقـال اتقلبتى قـلاب الفجل فى توتى وأصـبحت أتعـجب من هذا الشكل الذى إذا قيس بالرجال ينقص وإذا انقاس بالنسوان يزيد ومن ما يأسف له الإنسـان أن مثل هؤلاء الذين يصـابون بهذه الأمـراض المخجلة مـتى ابتلى أحدهم به يترك جميع الأعمال ويصـبح حسه لين ونبرات الرجولية تضيع من صوته بالمرة ويتمنى لو تتيح له الظروف فيكون من العوين فننصح لهذه الشبيبة الفاسدة التى أخجلت أهلها وعشريتها بهذه الظواهر المفضحة أن يحافظوا على قواهم ويحفظوا أصـواتهم ويتشغلوا فى أعمال شريفـة فإن تابوا إن الله غفور رحيم وإن فضـلوا متابعة الشـيطان فلهذه الروايات النسوانية مـخادع يمكن أن تكون هذه الرزائل محصورة فيها ولا توجد هذه الظواهر المخجلة إلا فى الأمة السودانية وإن كـانت مثل هذه الأمراض موجـودًا فى الأمم كلها ولكنه عندنا أخذ طورًا خطيرًا حتى أصـبح فريق من الصبيان فاسيدى الأخـلاق إن اكتفوا

بهذه الجريمة الفظيعة وهجروا الزواج بل يصرفون على هذه المخازى أضعاف ما يصرف على النسـاء وكل القبائح المتقدمة منشأها شرب الخمـرة ومصاحـبة الأولاد الصغار للكبار لأن اجتماع الشبيبة أصـبح اليوم على خطر عظيم فإذا اجتمعوا فى سكرة وكان البعض أملس فالنتيجة يعرفها إبليس فكثيرًا ما نظرنا أن الأولاد الأشقـياء يخوفون حسان الوجوه من العيـال وربما أكرهوهم على رزيلة هم لا يرضونها فيجب على الآباء أن يراقبوا أولادهم مراقبة دقيقة فى هذا الزمن الفاسـد فلا يكتفى الـراجل بقول زوجته الولد راقد يا راجل شن بتدور به لأنه قـد يكون صايعًا فى البلد من عرس الحلقـة ذكر لأن أولاد هذا الزمن أصبحوا يلعبون بالبيـضة والحجر ولا تنكسر وقد أعذر من أنذر ولنرجع إلى حديث السكرة استمرت الحالة على أحسن ما يكون وبعد أن كان الشراب بالفنجال أصـبح بالنقار والقزاز مـترترما يديك الدرب ولا أقول ليك الخـمرة بالصندوق وتقول لى كضاب لأن الجمـاعة الذين يحبونها بالصندوق هم أرقى منا سفاهة ولا مؤاخذة وهذه الطبقة مـن حضرات التجار الذين جادت عليهم الأيام بأرباح طائلة فلم يحفظوها لتكون رصيـدًا للكوارث التى تصيب التجارة من خسـارة وديون بل تجدهم فى سكرة واحدة يصرفـون مبلغًا غيـر قليل أما الزكاة التى أوجبها الله عليهم ليعطوه للفقراء والمساكين فلا يطلع الواحد منهم منها مليمًا واحدًا ولذلك تضرب الواحـد خسارة تلقاه يقدم الدفاتر لأن الزكاة تحفظ الأموال من الضيـاع ولنعود إلى مجلسنا والحبائب فى ساعـة اليُسر فقط أما عند الفلس فـلا لكن على كل حال إلى الآن مـعنا نقدية كفـاية تمكننا من مصادمة جميع الطلبات ومـا زالت العيون تنظر إلينا بكل احترام وبعد أن كان الغُنا هرديبسة قلنا أحسن كل واحد يجيب غنوة والبـاقى يشلُوا أو يسمعوا فقر رأينا على أحد الجالسين فشرع يقول آه آه آه.

سفرت محيـها وتركت عقولنا هميلة — ورفعت من كـفيلة أكـاد أن برميلة
من خمرة دلالة سكرانة مايحة شميلة — خطرت والنسـيم مهـما أمـال بميلة

إن خطرت تميس فوق الكفيل مسنده — من ماء الحـسن يميع شليخـة وينده
فاقت فى الجمال عزة وبثينة وهنده — كـالسومـيـة عينة جـيلده كـالمالنده

الدرعة أم رشوم من غير شكر مشكورة — ضامـرة وهاوية جوفة وجبـهة المحكورة
سنها أصفى من لبن البكار وفى الكورة — ترنع والكفل بقـوامة يلعب كـورة

الرشـرش سبل فى خـده زاول لينا — طايل جيده والعاج زان معاصمه يلين
الرويـة المبـــرعــــة للـفنايـد لين — والعــارض حلق بروح مـــا يخلين

صباح النور على غزلان تلك الناحية — حيث هى فى الجمال كـأبى ربيعة ودوحية
قتالات عيـونها الرامية كالمستحية — ما جـالستهن يا خيب تلك اللحـية

فى حب أم رشوم بشـرح كتاب الإحـيا — نهر السلسـبيل شلاخه ضـاوى المحيا
قـسمـًا بلبقـيع والطايفين والوحيـا — لو رفـعـت لشـامة أهـل المقابر تحـيـا

مازت تزدرى كالشمس عند ضحاها — وترفل فى الحلل مـحـجـوبة بثناها
باهت لأهـل إليــهـــا بيــهـــاها — صـارت فـتنة قـد أفلح من ذكـاها

لا تخوض الـبحر يا خلى لاتـساها — ومازا أطراف جمـيل وتواربو ما دساها
كم دهشت عقول للواجـبات أنساها — هاهى ليك نصيحة قال خاب من دساها

وقال أيضًا الغنوة الآتية:

قـويت قلـبى دقـيت بابه بيـــمناى — وقالت لى من أنت العشوق يا منايا
وقالت من أين أتيت يمكن رشيت منايا — تلك الســاعة أسـقـيك بكأس منايا

خـســايل طيـبة كـيف جـامـعـاها — مـفدوعـة الوريد أم جـيـهة لمعـاها
قـصـدى يا خلى جـمـعـة مـعـاها — واشرب قهوته الفنجـانة يبرى العاهة

شبه الفى الخيام مصيده داجة نفورة وبالسبعة المثانى أم زين دوام مغفورة
قامت بعجل جابت تقروبة فاق كافورة من المحمودى والخيزى القديم مضفورة

الدادة المطيعة اللى كلام سميعة وخلى جابت عدة شاذليها جميعة
جلست وأقبلت لصقلها وتلميعة أنا من السرور ودموعى زاد تجميعة

شغل أم ريد طلع محكوم وما هو مبدد ومنقد من نحاس يشبه قلبى مقدد
زى العاج مدور ما نكسر واجدد مودق حلية صافى أديم وكله مخضدد

فيه ثلاثة جمرات زى عيون الشالع ومن فحم الصنوبر ما انخفض متوالع
هبت أم رشوم خاتيات علالا طالع بهبابة من ريش نعام هضالم هارع

دقت بنها وختت فى شرقرق تبرى دق شيخ بابكر خاتى الطفق والتبرى
مسكت بشمالها اللى السقام هى بتبرى ودى أم ناراً مسلطة لى عضاى هى بتبرى

ختت فى الشرقرق وامتزج بالنار ومن حر أم لهيب أحى أنا وآنارى
لو سمع بك عامر الدينارى كان حاتم وأسلم ولابس الزنارى

جابت الدادة لأم حداقة كبوتة وكلها من امتن غش قمح منبوتة
تجلى شفتها المنصوبة كالتابوتة من دار فورشف المرم صحيح مثبوتة

فلما فرغ المغنى من أغانيه شكرنا له هذا الصنيع وبعد استراحة قليلة وقع الاتيار على واحدة من الجالسات بأن تقول غنوة من أغانى الطرب فشرعت تقول ما يأتى:

عبينا السفر لى وين والزول صبى العين يا حبانى بايت وين
شدلوا البدير وقليلوا الجوع غير يا حبانى بايت وين
وياد معى البصب سيال ياباسيدر يدى وين قيل يا حبانى بايت وين
يرسل ليك المرسال مع مرجان الخزن دار تلقاه وسط الخدار

قـبل الـسنط الـطوال أصـفر صـافى الجمـار إنت ريقك صـافى الزلال
وكرر إنت ريقك صافى الزلال ويا حـــبـــانـى بايـت وين

وفى الأخير قول:

بتـغنى ليك الجـيـدى وأتنسف ليك القرقدى وأدعـنـه لـلـبـنـى
عـودة سـلامـة يا تجـار مـدنى وكرر عودة سلامة يا تجار مدنى

وفى الأخير قول: ويا حـــبـــانـى بايـت وين

ويا خاتمى المع الحباس خـــاتك لى حـــراس والفـــوتـا يا جـــلاس
نحن الـيـوم سكرنـا خـلاص ونحن الـيـوم وذرنا خـلاص

ولما كررت هذا البيت الأخـير صحيح ودرنا خلاص حتى فـقدنا الشعر واختلى توازن المجلس وأصبح كل واحد منا ينقط بما عنده من القروش للغناية فى الجيهة مرة بالريالات ومرة بالورق اللخدر وهى تعجبك فى لم هذه النقوط لأن بنات الناس الواحدة إن شربت العـرقى الفى البلد كله ما (تروة) أما أولاد أم. الواحد منهم الكاس والتانى يفرغ جيبه بدون كلام وأخيراً بدون مطرود يا ود الاس أنحن دايرن ننوم وإذا قـال كانى ولا مـانى يبقى يسـتعد للـبرطوش المنقل وبعد الدقة يرمـوه برا لحوش يعض الظلط والدوراب وهذا من الدروس البليـغة التى تليق بكل من يطرق هذه البـيوت ويخـالف الحى الذى لا يموت ولنرجع إلى الحالـة التى تركتنا فيـها هذه المغنية مـن هوش (لبوش) لتشـتيت قروش واليطق مركوبه بالواطة مـا تشفو والبتعز ما تعـرفو والنصيح فينا يجى يكب العرقى فى خَشم الكباية يقلبها بقعرها والرقيص بقى بالحقو والرحط أب دواير والحديث بقى كـتر الواحد مننا يجـى يقول للتانى أمـسك يقل ليه. . . أمك يا ود أم. . . وإذا كنا بهذه الحـالة فمن الضرورى تحصل شـمطة أو سوء

تفـاهم بين الجالسين وقـد كـان المحظور وقع فقـد سل أحـد السكارة السكين وخلنا نسوى فى البـيت ديرة ديرة والدخل تحت العنقريب والنطة بالشـباك ما بتخبـروا وخلينا زولك فى وسط البيت مثل (التور) الـهايش وقنب يقول والله الليلة يا أولاد أم. . . كـان مسكت واحد فـيكم ألا أخلى مصـارينه سبح أنا الشافوا (أبوه) الراجل فيكم ينط العتـبة دى أجى داخل كما أخلى بكايته تنوح للحـول لكن يقدر واحـد مننا يقريب عليـه كضـاب وبدع ألف حيلة وحـيلة ضربناه ورمينا السـكين من إيده والتور إن وقع يكترن سكاكينه وبعـد الكركبة السواها كتفناه على العنقريب خوفًا من تمثيل الرواية تانى ولكن شكل السكارة زى نار الغش وكتين تمسك فى (لقطاطى) وتكون الـهبوب هاب تموت فى دى تمسك الثانية وقد حصل فقد اشـتبك أحد الجنيات (الطاعمين) مع ست البيت بسبـب كلام بسيط لأن الـسكارة زى صفيـحة (البنـزين) ألف واحدة تولعـها كبريتـه وبعد المعركة التى سلاحهـا البراطش فرقنا بينهما وقـعد كل واحد فى مكانه قصاد الآخر (وفـصل) فى الردحى الذى لا أتذكر منه إلا القليل وإليك بعضها منه فقد قال الجن للعكرونة بـعد أخذ ورد فى النبذ الليلة الدرتها معاى بتلقيـها حس اقعـد ليك فى الدفيس ووريك كـلام إبليس شن بتقولى مـعاى يالوسخانة يالـرمدانة أنا نديدك ولا قدرك ولا من أقرانك يا مايلة يـالمتهايلة يا حفـرة ود دلوك يأم قربابًا شـاله الشوك هى يكى خـلايق الله يشتـتوا والناس يلقطوا (آخ) توفا يا ويسخ يا ضُبـان إنفسخ جرت وأحات أبوى - أضف إلى ذلك الصفقة وتقليب العيون التى تبرق إلى أعلى وأسفل وليس هذا غريب من عيون نبض ماؤها فلما سمعت نبذ الجن ردت عليه بقولها.

شن بتقول يالهويرة أم قـد أنا إن كان أنبذك أبقى متلك يا. . . وسكتت فلما سمـعت كلامها قلت بقلبـى صدقتى أنت مرة والنسوان مـحل (العيب×

وإن كنت تستحقى عذاب الله بهذه الأفعال المشينة ولكن الكلام كلام الا نخلق راجل وأصبح أنتاية مع هذا لا يرضى أن تكون هذه الفعلة القبيحة بينه وبين الله فى الخفاء ويكون حافظًا لمظاهر الرجولية مكتسبًا من الأعمال والمهن الشريفة لا من بيت الخبث والفجور فبدل أن تختفى هذه النفوس فى آخر طبقة من طبقات الأرض كالحشرات الصغيرة تجدها تظهر فى السُبُل والمجتمعات ولكنها بأثواب تكاد ترى أجسامهم منها وإذا نظرت إليها مستفظعًا مناظرها القبيحة قالت لك (بتعاين) لى مالك بتدور شن وربما نبذتك بما تتصف به من الصفات الدنيئة (ودا) المرض الغلب الطبيب وحير اللبيب ولنعد إلى الشكلة وخبرها فإننا عملنا ما فى وسعنا ومرقناه برا ومن الضرورى أن نظام السكرة قد اتبهدل بسبب الزعل وقفت الكسات عن الدوران إلى هاهنا لكن الجزالين قد أصبحت قاعًا صفصفًا لا فيها فضة ولا ذهب ولا ورق لأن النقود تقعد عند الحافظين لها أما من يصرفها فى غير محلها تمر على يديه مر الكرام ويصبح يأكل أصابيعه من الندم ولكن أهل العقول فى راحة وغايته أصبحت جيوبنا أنضف من الجلاليب المكوية وما علينا إلا مقادرة البيت الذى نحن فيه لأنك مهما صرفت فى مثل هذه البيوت (وغنوا) ليك بقولهم سنن البرامكة قبيل (يابابا) أحيت وأنت تظن أنك منهم وتبعثر الدراهم العزيزة التى هى م نعم مولاك متى ما فرغت جيوبك وجلست صفر اليدين يجب عليك أن تبارح الدار فى ظرف أربعة وعشرين دقيقة وألا يطلعوك (بالماشة) والأحسن نخرج بنورتنا وبعد تنفيض العبايات والقفاطين والعمم والطواقى من التراب لأن السكران نصه فى العنقريب ونصه التانى فى (وطاة) الله وعلاوة على دفع حق الخمرة وحق... يدفع حق صابون ومكوة ويمشى فى بيت أمه ينغسل (بالليفة) والماء بر وجوه حتى ينضف من هذه النجاسة وبالزايد غضب من الله

وعذاب أليم وفعلا خرجنا وكل واحد منا ذهب إلى منزله ومن الجوع قلت لهم املوا لى كسرة (مره) بالملح والشططة وهذا كله فى صباح اليوم الثانى أما فى اليوم الأول فإنى نمت بالهدوم من شدة السكرة ولما راحت السكرة وجات الفكرة تذكرت الودرت فى ليلة أم بارح ندمت ولكن حيث لا ينفع الندم ومن فرّط... فكان التفكير قبل الآن أما بعد أن ذهبت القريشات أدراج الرياح فاذا تكون النتيجة إلا التحسر وضرب البوف والسيجارة ورا السيجارة إن الإنسان مهما اتسعت أرزاقه لا يمكن أن تفى بمثل هذه العربدة التى قد يصرف فيها الكبير مبلغًا ليس بيسر فى بضع أيام بل فى ساعات تمر عليه مر السحاب ولا يحسب لهذا المال أقل حساب كأن آبائه وأجداده عندهم الورق بالقفة والريالات بالشوال ومتى خرج وضربته الهبوب عقله الكان رايح يرجع تانى فإذا لم تجود عليه الأيام بقدر يراه كافى لإعادة الكرة يسخط على الزمان والمكان بل على السموات التى لم تجود عليه بمطر غزير من الدراهم والدنانير وعلى الأرض التى لم تبدل الحصحاص أحجارًا كريمة ليصرفها فى المريسة أو فى أم بابل أو فى الدكاى أو فى الزبيب أو فى الكنياك هذا إذا كان من الأولاد الراقين لأن الرقى فى العصر الحاضر أن يكون الواحد متفنيًا فى جميع أنواع الملزات ولكن بالحرام بل يكون فى حاملى الشهادة الكبرى من أقرانه بأنه يشرب حتى يجروه من أشنابه من محلات الخمرة بل يرقى ويتمادى فى الرقى إلى أن يصل إلى شرب الكمنقة أو البنقو كما يقولون وإلى شرب الحشيش أو إلى شرب القراويش أو الأفيون أو المنزول أو إلى غير ذلك من السموم القتالة التى تكون سببًا فى موته بل كيف يكون لهؤلاء الصبيان عقل وقد هدمت هذه المصائب صحتهم وأذهبت تفكيرهم فإذا بلغ الواحد منهم سن الرجولية فلا تراهم إلا بوجوه شاحبة وصحة ضعيفة لأن دم الشبا الجيد قد صرفوه فى

بيوت الدعارة غير مبالين بما يصيب الإنسان فى حالة الكبر فإذا نظرت إلى الرجال الذين نسمهم الناس القدام فإن تجدهم أحسن صحة من الجنيات الصغار لأنهم فى حالة الصغر لم يتعاطوا شيئًا من السموم المتقدمة فالعاقل خير له أن يصرف الدرهم والدينار الذى يكتسبه فى ما يعود عليه بالنفع لا فيما يضر ولا ينفع فيجد أن حياته سعيدة ولا يرى كدراً من الأكدار فى سير أعماله سواء كانت تجارة أو غيرها وإلى هنا تم الحديث السابع عن سكر أولاد البلد ويليه الحديث الثامن عن المراكبية.

الحديث الثامن عن المراكبية

حدثنا على قال قد أخبرتك عن سكر أولاد البلد وكيف جمعنا الوقت فى مكان واحد وقُدر لنا أن صرفنا جميع ما نملك حتى أصبحنا لا نجد فى جيوبنا (خمسة فضة) فماذا يصنع الإنسان الذى يعطيه الله نعمة فلم يحافظ عليها والمحافظة عليها هى صرفها فى ما يعود على الشخص بالنفع من أكل وشرب ومسكن وعلى الأهل والأولاد وفى غير ذلك من الواجبات التى تحيط بالإنسان سواء كانت هذه الواجبات دنية أو دنيوية لكن نحن لم نصرفها فى شىء من ذلك بل بعثرناها فى الخمج والطرطشة وقعد الواحد فينا حانف وجيهة فضاقت البلد على بما رحبت واليقول لى السلام عليكم يا فلان أقول ليه . . . أمك ومنشأ سوء الأخلاق من نضافة الجيب وقال عليه الصلاة والسلام (كاد الفقر أن يكون كفرًا) فإذا يجب على أن أتخلص بالبحث على عمل ولكن جميع الأعمال تحتاج إلى الفلوس سواء كانت تجارة أو صناعة أو تعليم أو غير ذلك من الأشغال التى يمكن أن يتحصل الإنسان منها رزقه فيما بعد وفى البلد التى أنا فيها مقيم لا أرضى بأن أشتغل فى مهنة أراها غير لائقة بمن ضيع ماله فى بيوت (نحن اليوم سكرنا خلاص) فما كان منى إلا أن

بحثت كثيراً حتى دلتنى المقادير على ريس صاحب مركب وبعد أخذ ورد اتفقنا على تشغيلى كنواتى ورضيت بهذه المهنة وإن كانت قذرة لأن ما معندى حق (البابور) وفى اليوم المحدد للسفر لميت هدمياتى فى جراب صغير كان معى من آثار البادية الله يطراك بالخير ولما جاء العصر كانت المركب على تمام الاتعداد وفى الحال شلنا الهليب بتاع المركب وطلع فارها الولد الصغير وحل الشراع ونزل زى السلام عليكم ورفعنا السقالة وقالت كدى المركب حلت باسم الله مجراها وكانت مليانة عيش وسيده راكيب فيها وكان الريح بلحيل سمح ومشت فى الليلة مشيًا زين ولم تحوجنا لى جر اللوبان ونحن جالسين للونسة وأم العول زديها وملحها وسوى القراصة تخينة والملاح ما ترقيقيه والعصيدة سوها قوية الله يخربك وكل الكل من عيش الراجل التاجر لأن المراكبى الواحد يمكن فى اليوم يأكل الأردب فلما رأى الرجل صاحب العيش ما حل به غضب وهرج زين ولكن مين يسمع ومين يقرا وأم العول ما زالت تشيل وتعطين فى الخمارة من عيش صاحبنا وولد المرحاكة بهذ المركب من شدة الطحين والصاج لهبة النار تجيب الضهبان ولقمة المراكبى زى راس العتوت وملحى وزيدى وتنخيها والرجل كاد يرمى نفسه فى البحر من خمج النواتة ولما نظرت إلى حال الرجل قلت له قرب على يا ود الراجل وحدثته فى أضانه وقلت ليه أتقل فى الدرفة النواته ديل يمكن الواحد يسل سكانة المركب ويخليها تغرق والواحد يعوم زى السلام عليكم يمرق فى خشم البحر وأنا وأنت نقعد نقول يابو مروة والمال تلتو ولا كتلتو فلما سمع حدثى برد شوية وأخيراً دس إيده فى القدح معنا ويقى يقول لام العول ملحى وزيدى واللحم مالو قوى والبصلة حرقتها ونحن وأم العول فى صبقا والقراصة من ناره لى حجاره إلى أن شبعنا لكن بعد حين من الدهر وقمنا وغسلنا أيدينا وكان الريح شرقى والمركب فى أحسن حالات السير لكن أخذت تقترب من

القيف وأخـذت قطاطى الحلة تنشاف شيـئًا فشيـئًا وأخيرًا أخـذ النواتى الحبل ووقع البحر وأخذ التانى الهلب (وجبلق) رماه فى البحر والوتت إندقه فى البر والسقالة إنخـتت وطلع النواتية الواحد بعد الواحد حـتى الريس فأخذ الرجل التـاجر صـاحب العيش يهـرج ويكورك ووين مـاشين وأنا لاحق السوق مـا ضرونا يا جـماعة لكن لقد اسـمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حـياة لمن تنادى فقال له النواتية نحن حس جايين يا زول أصبرخت الرحمان فى قلبك بس فى شغلة صـغيـرة فى الحلة نقضاها ونجـى فلما سمـعت كلامهـم صدقت أنهم راجعون عن قرب فقلت لهم اصبـروا وأنا ماشى معاكم وقصدت فى الذهاب معهم أن أتفرج على هذه الحلة لكن ظهر لى فـيما بعد أن النواتى يشم المريسة مسيرة عام ومـراكبهم زى حمير الحمازه إذا ركـبته ما يلبس أن يقف بك على باب من بيوت الدعارة وقد كـان فقد ألقت مركبهم مراسيـها فى هذه الناحية وخرجوا لشربها لأنهم أفـسق مخلوق دب على وجه البسيطة ولا أطيل عليك حدثنى ذهبت معـهم إلى المكان الذى توجد فيها (البقنيـة) وبعد سلام عليك منهم وحباب الريـس منها دخلنا فى قطية خشمـها صغيـر تدنقر راسك حتى تدخل وبعد الجـلوس دخلت علينا برام المريسة الواحـدة بعد الواحـدة وشوية السكرة عمرت ودار الكاس وشوية الدهلة ضربت وبعـدها الدلوكة والبيعرض والبهـز ما بتخبـر وأخيرًا بعد أن سـكرنا خلاص أخذنا نتسـربق الواحد وراء الواحـد والكديس يعرف اللحم الـفى المشلعيب ولا يدخل برج الحـمام فـإن سرق الليلة وفات باكر بنقبض لأن صاحب الحمام يكج ليه الشرك ويخت فيه اللحمة المحمرة وريحتها تجيبه من آخر البلد ويجى (داود) يتلبد براحة يحسب الدار مـا فيهـا رجال ودخلت وكـكرب الشرك ينقـفل ويطير عـويناته ويجى صاحب الشرك ومعاه الشوال ويفتح البـاب وبعد غمزة غمزتين يجى الكديس طالع يحسب البـاب مفتوح فـيدخل فى الشوال وبعدين سـيد الحمام يقـضفه

الأكل كله هذه الحالة تمثل تمامًا الرجال الذين يشربون الخمرة حتى يبقى الواحد فيهم لا يعرف الدرب فبدل يربط نفسه على العنقريب بحبل يقوم يمسك درب النمل لما يقع فى خشة اللسد ويمكن الأسد خرج لقرض من الأقراض ويكون فى البيت (مرته) فيقعد جمبها ولما يجى الأسد صاحبك ينطط عيويناته وسل السكين يعلم الرجل قد لقطية ونط الحيطة وطحين العجين والرقيص بالرحط وأنا ولية وغير ذلك من الآداب التى تليق بكل رجل خثيث النفس يحسن له الشيطان طرق الأماكن المحصنة لنسوان الرجال وحالة الكديس قد حصلت لى تمامًا فقد دخلت فى خشة أسد مربعن وختت صلبى فى العنقريب الرجل فتح الزريبة وقصد القطية وأنا وست البيت النسويه ما عرفناه وبعد إنس وين ودسنى ويمكن فى تحت العنقريب يشوفتى استقر الرأى على أن أندس داخل (سباتة) فى ركن البيت وقطعت النفسة ودخل عمك الراجل والعيون تقول جمرة النار الحمرة وبعد أن قعد فوق العنقريب سألها بقوله منوا الجا هنا فقالت أجى عاد من القاعد يجى وراك لكن الرجل عرف شيئًا من كلامها وفى تلك اللحظة تحصل منى حركة غير شعورية حتى سمع الراجل كشكشة البرش فسألها بقوله شن البكشكش فى جو البرش فقالت ليه الكديسة لكن فى البرش الكديسة أم كراعين أما أم أربعة كرعين فهى لم توجد وأخيرًا حلف برأس أبيه لا يترك الكديسة ترقد جوا البرش لابد من طردها برًا وقام وقل البرش لقاه ما بنشال فعرف أن فى داخل الهناى (هناى) وشوية جر البرش لى فوق طلعت كرعين أخوك (على) لكن أين الوقوف من شدة الخوف والصايل يقتل فى عرف رجال النسوان وفى الحال سل السكين البتبرق فى عين الشمس وودأم. . . رقدت قرش ونص وأمرق ما تمرق حتى مرقت من السباتة وما كضبت فى موتى صبحًا بالسكين لكن الراجل كان من عقلاء الناس فقال

لى أنا الليلة ما بضبحك يا ود أم. . . لكن بعلمك الأدب وكتين أبوك ما رباك حتى أصبحت تعتدى على حرمات المتزوجين الحصينة ويقف لى بأم دلدوم ويقول لى أملك دارة رمانى أبحت وبحبل الدلو كتفة لما سد رى نطى وبعد أن ملص الهدوم قعدنى فى بيت النمل وجاب السوط ودقت عدوك وبعدها قال لى تانى تعال لبيوت الرجال فقلت له التوبة إلما بعدها عودة وهذه أقل دروس للصبيان البدخلوا فى الحشان ويدوروا الفلتكان ويمكن يقع فى يد واحد راعى عجلة يحلف بالطلاق ألا يخلى مصارينه حبل وقبل الضبح يسقيه الموية زى كبش الضحية ويبقى زانى ومضبوح ويلاقى ربه بالجنابة وقضيحة لأهله بين الناس وأما الزروه فيها فإن كان راجلها من عقلاء الناس يديها حبل الطلاق وتمشى لبيت أبيه حانقة وشها وأمها تسألها شن جايك يا فلانة والجواب الراجل بقى كعب وأمها تنتم من الزعل ويجى اللبو فى المغرب يجدها فى البيت وبعد سماع الحديث يذعل كمان ويبقى الأمر على ما ذكر إلى حين من الدهر والراجل فى بيته والمرأة فى بيت أبيها والخبر يجبنه البد اليات وفى تلك الحالة اللبو يعرف كيف يمثل جريمة القتل أم عمتى سدًا لتشرب الأخبار التى تعد ماسة بالشرف وفى اليوم المحدود تجدهم قد قشوا البيت وضابروا العدة وفى الصباح ماذا تسمع يا للهول والخبر المريع والأمر الفظيع فلانة ماتت والكوراك ضرب وشق الحلة وجوا الجيران والحبّان والسكلى والردحى يملآن البلد أما الأب الذى قد نفذ القدر المحتوم على يديه فلا ترى على وجهه علامات المتحسر والمتحزن بل يتكلفها تكلفًا ويقابل التعذية ساخرًا فهو كالأسد الربض بعد أن قتل فريسته فهو ينسر من تخبطها فى دمائها ويلتز من تجرعها مرارة سكرات الوت وأن البنت التى تلوس شرف أهلها وذويها لجزاءها الموت ليغسل بدمها الأغزار التى التصقت بأجسام ألها هذا كله حسن وجميل للغاية وبارك الله فى الرجولية والغيرة وأكثر الله من الرجال الغيورين على نسائهم

ولكن هذا يترك الأخبار فى طى الخفاء ونسيًا منسى أليس فى بيت البكاء تسمع هى يايمة البارح أتعشت ونامت وفى الليل جاها عزرائين سلام الله عليه ولا عزائين إلا عمك أبو شنبين والأحسن من تمثيل هذه الجريكة والوقع دقة حبيبة الصباح وزيانة الرأس وشهرين تلاتة فى التكل مع بخيتة فى نار الدوكة والكتوش حتى تتوب وترجع عن غيها وتعرف أنها كانت فى جنة وخرجت منها وأن بخيتة تتعب وتتحرق فى هذه النار من زمن طويل فالأحسن ترتاح شوية هذه القصة ليس المراد منها أها تقع فى بيوت الرجال الذين يقيمون مع زوجاتهم وإنما المراد منها حالة العرسان الذين يتركون زوجاتهم بالسنين الطويلة وربما فى يوم الأربعين رفع طرف توبه فى خشم وجرى على المحطة وشوفة الطريفى لى جمله فماذا تفعل الزوجة الشابة السمحة أم شلوخ الفزرة أم عارضًا يحبس الدموع وأم جبينًا يخفى الشمع المابتشوف عتبة الباب أليس للنسوان شهوات كشهوات الرجال جعلها الله فيهن أليس الشيطان يرميهن فى حباله كما يرمى الرجال الذين قد يكون الواحد منهم له بدل المرأة الواحدة أربعة وبرضك تجده يزنى لا خوفًا من الله ولا حياءً من الناس فماذا تفعل المرأة الشابة العروسة التى تهجر فى بيتها بالشهور العديدة بل بالسنين وأغرب من ذلك كله أصبحنا أمام مكشلة جديدة فإنك تجد الواحد عنده زوجة ترمى فى (الشوك) وتلقاه مع العيال الذين أعمارهم بين عشرة سنين وخمسة عشرة سنة وأطول ما فيهم يجيه لحد ركبيه ويعوض الله على أمهات البنات وأن جعلنا الحوش تسعة أضرع ولا عشرة أضرع الواحد إيده فى قلبه ويا ساتر من (ولادة) هذا الزمن فإنها أصبحت زى ولادة التمساح فإنه يلد مية واحد يطلع تمساح والتسعة وتسعين يطلع كل واحد منهم ورل ولا تسأم أيها القارئ الكريم فإننا قد أطلنا عليك الحديث ولنعد بك إلى المراكبية فإننا بعد تجمعنا فى خارج

الحلة ذهبنا إليهـا وقد نفد صـبر الرجل التاجر لأنـه قد تعطل عن إدراك البلد التى يقصـدها لأن النواتة كثـيراً ما يعطلون مـصالح الناس بمثل هذه الأفـعال فحللنا الحبال من الأوتاد رفعنا الهلب وسـقالة وطلع الولد الصغير فار المركب وحل الشراع وأخذت بعد أن لذناها بالمدرة والضهور تسير إلى وسط البحر ثم عدل الريس الدفة فـأخذت تمشى عديل والهواء كـان مساعداً وبعـد سفر ليلة كاملة وصلنا إلى قرب البـلدة التى يقصدها التاجر ثم أخـذت المركب تقترب نحو الشاطئ وبعـد قليل من الزمن وقفت على الحجرة ومدت السـقالة وقبل الخروج ودعت أصحاب المركـب وشكرتهم على هذا المعروف ثم توجهت من حلة إلى حلة حتى حططت رحالى بجهة يقال لها (أم سنط) ونزلت عند أحد الأهالى فأكرمنى غاية الإكرام فمكثت عنده عدة أيام وفى هذه المدة بحثت لى عن عمل لأن الإنـسان إن كان نازل عند أحـد ضيـفًا وهو قادر علـى الشغل والاكتـساب فـالواجب عليه أن يسعـى ويكتسب رزقه بالجـد والاجتـهاد لأن الإنسان وإن كـان يجب عليه أن يكرم ضيـفه إذا نزل بساحتـه كذلك الواجب على الضيف أنّ يرحل ولا يكون من الثقلاء وأنا فى أثناء بحـثى وجدت كثيراً من الناس يخرجون إلى (الضهرة) ولما سـألت عن سبب الخروج أخبرونى بأن أؤان الخريف قرب فخرجت معهم إلى البـلاد لعلى أجد لى عملا أكتسب منه رزقى لأن طلب الرزق واجب على كل إنسان ومن عادة أهالى البلاد أنهم قبل نزول الخريـف يخرجون إلى مـكان زراعة العـيش وكل صاحب أرض يحـفر أرضه ويسند التـرس خوفًا من ودار مـوية المطر ساكت بلاش وأجرة الجـدعة الواحدة بعشـرة قروش وهذه الأجرة عن الحفر والسند فـكنت أشتغل فى هذا العمل بجد ونشـاط حتى أصبح كل واحد من أصحـاب البلد يدورنى أشتغل معاه ومـن أخذ الأجرة حسـاب الله بالعمل فالإنسان إذا أسند إليـه عمل من الأعمال وكان يأخذ عن هذا العمل أجـرة فالواجب عليه أن يقوم بهذا العمل

بنية خالصة سواء كان هذا العمل صناعة أو زراعة أو تجارة أم أى شىء من الأشياء التى يقوم بها الناس بإنجازها لبعضهم بعضًا فكنت أنا سخى ونيتى بيضة ماها سودة فلذلك لا تجدنى قاعد ساكت بدون شغلة بل فى جميع الأيام كنت أشتغل لكن فى يوم الجمعة كنت أبطل وأغسل هدومى وأتبرد بالليفة والصابون لأن الحكماء قالوا جلد (الزول) فيه قدود أكان ما أتبرد فى كل جمعة على الأقل بالليفة والصابون وارتاح شوية جو الدانقة بتجيه (الوردة) فالإنسان العاقل يجب عليه أن يسمع نصائح الأطباء الصحية لأجل أن يحافظ على سلامة جسمه من الأمراض لأن العافية رأس مال الإنسان كما أنى كنت أذهب إلى الجامع لأداء صلاة الجمعة لأنها واجبة على كل مسلم وبعد الخروج من المسجد أذهب إلى البيت للغداء ثم أخذ رقيدة إلى صلاة العصر وبعدها أخرج لزيارة الأهل والإخوان والمرضى والأصحاء منهم وفى يوم السبت أعود إلى عملى فى غاية النشاط وبعد أن خلصنا من حفر البلاد وصبرنا يومين ثلاثة قالت ليك المطرة أمسك (جو) ثلاثة أيام ما بتقف الليل ولا النهار والما جلل بيته من بدرى يخت البرش ولا الفروة فى راسه والحطب أبت تمسك فوقه النار والسبلوكة أنقدت وشتنت الخريف أنت خابرها فلا أطيل عليك الحديث وفى هذه الأيام تظهر مكارم الأخلاق والراجل العاقل من الهبيل وتقدر تفتح جدول على جارك (الطورية تاكل راسك) وإن كان بيتك داير يقع وهل سمع الجيران الحديث النبوى الشريف (أوصانى ربى بالجار حتى ظننته أنه يرثنى) أليس الجار أولى بالشفعة كما أنه أولى بالمنفعة وهل فى منفعة أحسن للجار من (أن يمرق مويته) بالمكان الواطى من بيت أخيه المسلم ومن فرَّج على أخيه المسلم كربة فرج الله عليه ألف كربة ويا ناس حرام عليكم ولا تنسوا الفضل بينكم والمطرة بتروح وتبقى الوجوه وبعد أن وقفت المطرة قعدنا ثلاثة أيام لم نخرج إلى الزراعة لأن البلاد ما بتحمل الكراع والطين اللك

للركبة وبعد ثلاثة أيام أخذ كل واحد منا سلوكة وروح البلاد للزراعة فى الصباح بدرى لأن الواجب على كل صاحب عمل أن يقوم إلى عمله من بدرى (والبدروا فازوا) وأجرة السلوكة الواحدة للمتربى عشرون قرشًا وماسك السلوكة الشاطر يفوت البرمى التراب ويزرع الجدعة فى يومه (واللفس) البتقلبه نص الجدعة ما يزرعها ويجى فى أخير النهار يقول لسيد البلاد أدينى الأجرة مثل فلان والكسلان أخير منه النسوان الفى الحشان وحضر الغداء وتعالوا يا صبيان العصيدة (اللقمة) واقفة مثل الجبل وملاح الشرموط زى موية المطر ودا الشغل البيجيب الوردة ويوجع البطن ويخلى الواحد بطنه كبيرة وصلبه صغير وأخير يكون الأكل نضيف والشغل كثيراً وإضف منه وحضرن الأكول وغابن العقول وخابورى وحابورك وصبق صبق والعصيدة حارة واللى إيده رهيفه يحرس الدوكة وجبال الكحل تفنيها المراويد الرقيقة والقدح المدبدب المتل الجبل تهد اللصابع الصغار فقد اندكى ذلك الجبل الشامخ وأصبح أثرًا بعد عين وانفض من حول القدح أبو خروس الجالسون والتقى يصلى الضهر وياخدلوا إنبطاحة شوية وبعدها رجعنا تانى للزراعة وما كدنا نخلص من البلاد التى تكون السلوكة فيها بالأجرة إلا سمعنا الكوراك والخبر فشرعت أسأل الجمبى فقال لى خليفة سيدى داير المزارعين بسلا لكن يجوا يزرعوا بلاد سيدى الشريف فكنت أنا أول من روح إلى بلاد الشريف وسلكتى فوق كتفى وكل واحد من المزارعين جاب سلوكته وجاء وقلنا باسم الله ياهل البيت الحقيقين الذين على سنة سيد المرسلين وهاك وصبق صبق السلوكة وبين الواحدة ومتربيها مسافة ويعجبوك إخوان فاطنة فى المرؤة حتى إذا كان الظهر خلينا الزراعة وروحنا إلى الضل راجين الغداء وبعد جات القداحة الفيها اللقمة لكن الملاح (خدرة) ما فيها (شرموط البقر) مع العلم أن أصغر المزارعين الذين يأجرون الناس باليومية وأفقرهم يغدونهم بملاح

الشرموط أما سيدى الشريف البشغل أولاد الناس بالبركة كثير عليه ملاح الويكة بالشرموط ولو يظن القارئ أن الأرض التى يكلف الناس (سيدى الشريف) بزراعتها جدعة ولا اثنين لكان الأمر سهلاً والبطن ما فيها وجعة لكن الأرض التى يسخر خلق الله فى زراعتها على أقل تقدير بالعد والحساب والضبط أربعمائة جدعة وهذا غير الحبل والحبلين والنهاية هاك هاك طب زرعناها كلها ثم ذهب المزارعون إلى بلادهم أما أنا فقال لى الخليفة دايمًا تعال أخدم بلاد سيدى الشريف ونحن نكلم سيدى يديك البركة فلما سمعت البركة أضنينى رقصن وظننت أن البركة أجرة أكثر من الأجرة المعروفة عند المزارعين وصرت من هذا اليوم أكوس الخدمة بره لكن فى يوم خدمة الشريف أجى قبال كل واحد وفى بعض الأوقات أضرب الكوراك وألم المزارعين لخدمة أبى البركات وبعد خلاص الزراعة وبعد أيام بقى العيش شوكة وبعدها أضان قار وبعدها سوا سيو وفى هذه الحالة جاء زمن الحش وكل مزارع يأجر الأنفار البحشو بلاده أما سيدى الشريف الأربعمائة جدعة لا يأجر ولا حاجة بس الكوراك والبركة تحش البلاد الطويلة العريضة وقد كان حشناها إلى أخيرها وبعد انتهاء زمن الحش ويومين ثلاثة العيش بقى جداد وبعدها صقور وبعدها لتيبة وبعدها حملة وبعدها زرع الفص وبعد شرابة وبعد لبنة وبعد فريك وبعد قاوه وفى هذه الحالة الماعنده عيش يأكل من بلاده وبعدها جاء زمن قطع العيش والعمل بالأجرة إلا بلاد سيدى الشريف والعادة إياها والشغل بالبركة ولله الحمد واشتغلت فى دق العيش وكلكوم مقطوع يسمى دب وفى هذه الأيام تكثر الوردة والأمراض وهل فى هذه الحالة يجيب سيدى الشريف حبوب من البركات يسقيها المرضانين الذين أمرضهم بهذه السخرة بتخدمهم فى الأربعمائة جدعة وبعد قطع العيش نقلناه فوق الحمير بالراوية إلى التقى

بعد رصعها بالمعاونة من الجيران فى البلدات واشتغلت بعد ذلك فى دق العيش وأجرة الرحل ثلاثون قرشًا والرحل فيه أربعة أرادب وبعد ذلك نقلناه فوق الجمال إلى المطامير والأجرة للأردب الواحد قرش ونص وبعد هذه الأيام انقضت اشتغلت فى سكب القصب الميـة كليفة أجرتها سبعة قروش ونص شكب ونقل وبعد ذلك وديناه فوق زريبة الشوك ومن هنا قد انتهى العمل فى البلاد والكسلان قعد (للعب الطاب) ودك تلى ويومين والمنقلة والسيجة وكلبى وكلبك وحمار وصنج وإن داير أقل حاجة من السوق يفتح المطمورة يشيل ليه أردبًا ولا نص أردب يقضى به القرض الدايره وإن دارت المرة فركة طلقنى السجم كال خشمه لما هذا الخمول والكسل والواحد صبى يجر التمساح من البحر يبقى شغلته من ضل ضحى لضل صباح أليس من العقل والرجولية أن يشتغل الإنسان فى أى عمل كان ويلم ليه قرشين ثلاثة والراجل يضوى بيت أمه والـلفس ينوم فى الليل ويسكر بالنهار ولا أطيل عليك الحديث النشيط ينزل الجروف ويزرع البنضورة واللوبية العدسى واللوبة العفن والبطيخ والشمام والقرع والعجور والخيار والدخن وللوبية البيضة ثم الفاصولية والكركدية والعنكوليب والبامية وغير ذلك من الأشياء البتجيب القروش وبعد لم العيش ودفنه فى المطامير أو قبله يجوا العشام مداح وفقراء وبعد الانتهاء من هؤلاء يجى سيدى الشريف لجمع الزكاة وكنت أظن أن سيدى الشريف يكتفى بسخرة الناس فى الأربعمائة جدعة لكن الغنى من القناعة والزكاة التى فرضها الله إأنة مالية على الناس للفقراء والمساكين وفك الأرقاء من ذكور وأناث من زل الرق والعبودية إلى نور الحرية والقيام بعبادة الله مثل الأحرار هذه الزكاة تعطى لسيدى الشريف وأمثاله من الأغنياء أما حبوباتك العجائز وأبهاتك الذين انحنت ظهورهم من الكبر فليموتوا جوعًا ولتترك الأيتام الصغار الذين

لا يجدون لقمة الكسرة فى الشوارع والطرقات ويتعلم كل واحد منهم كيف يسرق وينط الحيطة ويسلب النسوان ويخليك الحرامى تجى تعدل توبك يفع من صلبك وبعدين تحصل البركة أن الزكاة شرعًا لا يجوز إعطاءها للأغنياء وهل اليوم يوجد أغنى من سيدى الشريف وأمثاله من أإباب الطرق والعقائد الذين ما تركوا درهمًا ولا دينارًا إلا جمعوه باسم الزيارات والتبركات حتى لم ترتض نفوسهم الكريمة العالية أن تترك زكاة فى حلة أو بلد لفقير ولا لمسكين من الناس لكن أستغفر الله العظيم أن الذهب والفضة وأوراق البنك توت يكفنون بها وتدق من الذهب والفضة الطوب بتاع (ود اللحد) ولا هناك رب يسألهم بعد الممات عن جميع أعمالهم ما ظهر منها وما بطن لأنهم رسل مكرم وملائكة مقربون لم لا تجوع الناس فتمرض وتمرض فتموت لأنهم لا يجدون الكسرة والدواء وجميع ما يملكونه يذهب لأمثاله تارة بالزكاة وتارة ثمنًا للخلافات والزيارات وما شاكلها من الحيل التى تيذرعون بها لأكل أموال خلق الله وهم يعلمون إن الإسلام لبرىء من ما يصنعون وإن كانوا يدعون بوجود شىء فى كتاب ربك أو سنة نبيك يجيز لهم أكل أموال الناس بالباطل فاليأتوا به إن كانوا يجدون لكنهم لم يجدوا ولن يجدوا ألا خير لهم إلى ربهم يرجعون ولا أطيل عليك كلامى فقد لم المزارعون عيشهم وما بقى إلا الزيارة والخليفة جمع الزكاة والفقراء والمساكين يأكلون حبال عنقريب الجلد ولنعود سنة ست وسنة عيش الهند وسنة (الأمباز) البخلى الرجال أبان دقون يشكلوا بدون سبب من المجاعة والبنات أمات نهود يقولن أدونا الكرامة لم لا تعود هذه الأشياء كلها ونحن نصرف جميع الدراهم التى أنعم الله بها علينا فى الزيارات والقطايف ولم لا يكون الواحد عريان وجعان وبيته خربان ومطالب بالديون لى رقبته وهل صاحب الدين يضر به يقطع حبل كلوته يا ناس اتقوا الله فى أنفسكم لعلكم ترحمون والكلام كثير لكن درب ما فى والنهاية جاء

يوم المشى لزيارة سيدى الشريف والجماعة الزيار حمارى وحمارك وحوش واربط اللبب واعدل السرج واربط الضناب ودخل أضان الحمار فى اللجام وقام هذا الجيش الجرار الذى يحمل أخير درهم فى البلد بقيادة التقى الورع جامع الزكاوات ومسخر الناس فى زراعة الأربعمائة جدعة فى البلدات الخارب المخرب الذى ترك جميع الفقراء والمساكين جياع الذى لا يعرف من الإسلام فرائض الوضوء ولا أركان الصلاة ولا سنة العمران ومثل هؤلاء إن استمروا على هذه الحالة يخربوا الحلال والبلدان حمانا الله منهم وإياكم يا جيران من هذا صاحب هذه الأوصاف الحميدة والسجايا الفريدة سيدى وخليفة سيدى الشريف فلان ابن فلان وسار هذه الجيش العرمرم من حلة إلى حلة محفوفا بالزغاريت وحلل الربيت والنسوان الماعندهن وليان قربانى إنحل واصبرى نربط وحطى ماشات يكوسن البركة أنجتمع البركة والحرام يا سادة يا كرام والنسوان كلهن عريانات يزورن السادات أهالى البركات يا ناس فضحتونا والفساد علمتونا وغاية استمر السير حتى وصلنا إلى (حتة) يقال لها (برى اللماب) وإن أنسى كل شىء فى حياتى لا أنسى الرملة والرماضة الحارة المتل النار فى تلك التلال والرمال وبعد أش وحاو وربط الحمير نزلنا نحن معاشر الفقراء والمساكين الذين ليس لهم إلا دفع (صرر الزيارات) والجلوس فى الخلوات أما الأغنيا فإنهم نزلوا فى الصراية لا لشىء سواء أنهم يدفعون دراهم كثيرة وبعد أن ارتحنا من تعب السر قدمنا كشفًا مبين فيه جميع الهدايا (والقطايف) وهى النذور وياليت أن يكتفى سيدى الشريف بهذه الأموال التى لو كلفى بعدها وحصرها باش كاتب حسابات أكبر إدارة فى العالم لا يمكن يعدها إلا فى مدة سنوات عديدة مع ملاحظة أن يكون نشيطًا فى الجرد وفى العد فى أطراف الليل والنهار تظن أيها القارئ أن أبا البركات والنفحات يقنع بأكل هذا المال بالباطل لا تظن لأنه يطلب منهم أن يدفعوا حق (الأحجية

والأوراق) لما لا يحجبهم وقد يكون هناك درهم باقى فى جيوبهم فيريد أن يحوه حتى يدخل فى خزانته ويجتمع مع إخوانه السابقين لأن خزانته كلما أولقى فيها درهم وقيل لها هل امتلئتى فتقول هل من مزيد وبعد أن جمع منا أخير درهم كان فى جيوبنا (وهذا بيت القصيد) من الزيارة أشرقت علينا أنواره فى ثوبه تواضعًا ليوهم الأغبياء أنه من المتقشفين الذين لا تغرهم الدنيا الفانية بل هم يرونها كالجفة القذرة التى لا تساوى شيئًا ومع ذلك باعوا الدين ورضاء الله واشتروا هذه الجيفة المنتنة فهل هم رابحون كلا وألف كلا كيف يربح من يحتال على الفقراء المساكين ويخذ ثمرة أتعابهم بغير الحق أيجوز شرعًا أيها المسلمون ولا أطيل عليك الحديث فقد حضر إلينا أحد خلفاء الشريف وعلمنا كيفية السجود والركوع لغير الله تعالى لأنه لا يعرف أن السجود والركوع هل هما كفر أم حرام وبناء على هذا التعليم ملصنا المراكيب وخلعنا العمم ودخلنا فوجدناه جالسًا على سجادة على الأرض ولابسًا (ثوبًا أم فكوا) ليعرفنا أنه متواضع لكن جمع الدراهم والدنانير هل هو من التواضع أم لا ثم تقدمنا واحدًا بعد واحد حتى جاء دورى فسلمت عليه ثم رجعت إلى مكانى فجلست وأن أنسى كل شىء من تلك الزيارة لا أنسى ليابة راحة يد سيدى الشريف والظاهر أن هذه النعومة من (جر السبحة) والعبادة وبعد أن قال لنا أن الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولا يكون لكم فيها محبة إلى غير ذلك من نصائحه الغالية التى يريد منها الباطل فقلت فى نفسى أليس يا سيدى الشريف جمعكم لأموال الناس التى تصفونها بأنها جيفة من ذلك الطلب ويعلم الله أنكم تنفرون الناس من الدراهم والدنانير لأجل تجمعونها فها أنتم اليوم أغنياء والحران فقراء فكان الواجب عليهم اقتداء بكم أن يحفظوا أموالهم منكم وهى جيفة ولا طلاب إلا أنتم يا أرباب الطرق والخزعبلات ثم انتهى

زمن الزيارة وذهب كل منا إلى خلوته كما ذهب الأغنياء إلى الصراية لأنهم مقربون إلى الشريف حتى إذا أصبح الواحد منهم فقيراً لعن وطرد كالعضم الذى ذهب لحمه فيجب أن يلقى فى الزبالة وكان وقت الأكل قد جاء وإذا (بقدير) قد حضر يحمله يومئذ ثمانية وما أدراك ما (قدير) فهو قدح مليان بالعصيدة وحولها ملاح الشرموط وبعد وضع قدير نادى بعضنا البعض الآخر هلموا وانزلوا إلى هذه البركة فاحطنا به إحاطة السوار بالمعصم ومن شدة علو ذلك الجبل الشامخ أننا لا نرى الجالسين من الجنب الآخر وقلنا باسم الله وتسلقنا تلك القمة الجبلية وإذا كوركت لأخيك ما يسمعك من شدة حركة القطع والبلع وبعد مجهود عظيم ترأت الرؤوس وأصبح كل واحد منا ينظر إلى الآخر نظر المسابق فى مضمار الرهان وجوادى وجوادك ولقمة العربى قدر (راس العتوت) إلى أن طب كملت تلك العصيدة التى حلت فيها بركة (سيدى الشريف يوسف) وقد قال من أكل فى (قدير) لا يمرض أبداً وهذه من كراماته وما قولكم ما كدت أقوم من قدير حتى شعرت بدوخة ثم تطورت هذه الدوخة إلى جنون فصرت أنبذ الناس من طرف لا فرق بين الصغير ولا الكبير ولما فرغ صبر الناس الجالسين معى فى الخلوة (شالونى طب العاصب) ودونى إلى سيدى الشريف لأجل أن يطير من رأسى الشيطان وبعد شيل وخت وصلونى إلى المحل الذى يجلس فيه الشرف فلما وصلت إلى ذلك المكان هدأت فقال لهم خلوه وامرقوا وما كاد يصل كل واخد إلى مقره حتى عاد إلى الشيطان وشرعت فى العربدة وكان فى مجلس الشريف من الرجال (والصبيان) عدد ليس بقليل وكلهم أرادوا رمى فى الواطة فلم يستطعوا لنعومتهم وخشونتى وبعد أن علت أصواتهم إياها تغلبوا على ببرودة أجسامهم لا بشىء آخر وكتفونى ورمونى على الأرض وما بقى معى حيلة غير اللسان وبما أنى أكلت من قدير قدح سيدى الشريف وبسبب هذه الأكلة قد ركبنى

شيطان من خدامه وهـذا الشيطان مغرم بالسجع فلا أكون مـذنبًا إذا نبذتهم بما هو آتى فقلت لهم بتكتفونى يا لكترتوا وملتـوا البلاد يالعطلة أشغال العباد . . يالجمـعتوا أموالنا ويالأتمتـو عيالنا . يالعطلـتوا الرجال يالخربتـوا بيت الحلال . بتكتـفـونى . الليلة عـاد بقـعـد لكم فى الخلوات وويركم جـمع الزكـوات . يالجوعتـوا الفقراء والمساكين يالعطلتوا شـعائر الدين . يالبتخـافوا من المتعلمين وتهينوا الطلبة الراكـعين هى يكى واحات أبوى الليلة بوركم المكشن بلا بصل الليلة الدرتوها معاى مالقتوها يالكتـار ماكم قلال يالأصبحتوا زى بنوك المال . يالبتجمعوا البنك نوت يالما بتخـافوا من الموت . يا كدادين العضام يالما بتخافوا من أكل الحرام يالبتـجيبوا للناس أكل القـرض يالجبتوا ليهم المـرض بتكتفونى وترمونى فى الواطة عاد أنا كبش . يالجلود كم تريانة وبدينة ويالبتاكلوا اللحمة السمينة . يالبترقدوا فوق عنقريب الصاج الكبـير يالبتقتوا بتياب الحرير الرسول عليكم الحرير ما هو حرام يالوسعتوا الحشان . ويالكترتوا النسوان . يالمابتدوروا من الحوار إلا الدراهم والدينار الرسول عليكم ما بتخـافوا من غضب الجبار . يالفـستوا البنـات بالزيارات يالبتنهـشوا عـروض الحوارات كفـاكم ولا أذدكم يالجعلتوا الدين بقرة لبن واحدة من الجالسين اسكت الجنل يقص رقبتك فقلت له .

أسكت أنت يالبتـرسلوا الخلافات فوق المخـالى يالبتقولوا للدنيـا تعالى يالجمعتوا النخيل يالمابترضـوا بالقليل . يالكتلتوا نار القرايات يالبنتوا الصرايات يالأطعتوا الكرمات ومـا بتعرفوا إلا هات هات . آخ توف جنى طار فكونى أنا واقع ورا النشابة مرة الشرق ما بتعزوها . فلمـا سمعوا حليفتى فكونى ثم عزم الشريف على رأسـى فطبت من الجنون فقلت له داير البـركة فقـال لى امشى أدناك البركـة فحلفت أنى مـا استلمت ولا بركـة واحدة وكنت أطلب البـركة لأنها أظنها عملة كالريال مثلاً وأنا صادق فى هذا الحلف لأنى من اليوم الذى

اشتغلت مع خليفة الشريف إلى الآن لم أستلم مليمًا واحدًا حتى يدعى أنه أعطانى أجرة عملى هذا ظنى لكن ضحكوا الحاضرين من كلامى وتغفلى وكيف لا أفهم معنى البركة ثم أخذوا يخادعونى لأجل أن يوجدوا الخيالات فى رأسى فلم يمكن وأخيرًا ذهبت إلى الخليفة الذى خدمنى فى بلاد الشريف الزراعية وهى كما تقدم طولها من الشرق إلى الغرب وقسمت عليه بالله العظيم هل دفع إلى بركة واحدة فقال لا فقلت لهم اسمعوا من خليفتكم جامع الزكوات ومسخر الناس فى خدمة البلدات أيجوز شرعًا تشغلى هذا الزمن الطويل وأخيرًا تدنى بركتك وأنت تجمع الدراهم والدنانير من الصغير والكبير وهل يمكن أن أذهب إلى أحد التجار وأشترى منه فركة طلقنى لزوجتى بالبركة وهل أأكل عيالى البركة وهل إذا أراد الإنسان يشترى له أى شىء من الأسواق يمكن يباع له بالبركة اتقوا الله ولا تأكلوا أموال الناس بالحيل والمكر والخديعة وأنتم تعلمون فوالذى قسم الأرزاق على الخلق وأمرهم بصرفها فى ما يعود عليهم بالنفع أنا اليوم لا أخرج من هنا إلا إذا أخذت أجرتى كاملة بدون نقص لأن زوجتى وأولادى لا يأكلون البركة ويتقطون بها بل لابد من الهدم والكسرة وهذه كلها بالدراهم والدنانير وأنت أيها الخليفة أقسم لك بالله العظيم الليلة ما تجيب الفلوس ألا أقطع خبرك فلما سمعوا كلامى ووجدوه حار لم يروا خلاص إلا بدفع الأجرة ولما قبضتها قلت لهم هل فيكم أحد يعرف تفسير قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تعلمون فلم يجبنى أحد منهم لأنهم جاهلون فنظر يا عبد الله إلى حيل أرباب الطرق والعقائد التى يجمعون بها أموال البسطاء من الناس باسم الدين والبركة والتقوى والصلاح والحال أن الشريعة السمحاء تبراء إلى الله من حيلهم وأكلهم أموال الناس سحة وحرامًا حتى صيروا الناس فقراء لا يملكون المليم الواحد وأصبحوا هم أغنياء كلما امتلئت خزانة من خزائنهم

فتحوا غيرها وهكذا حتى يموت الناس جوعًا كيف لا يموت الناس وهم يسخرونهم أولاً فى زراعة أراضيهم وثانيًا يجمعون منهم الزكاة والفقراء يأكلون التراب وثالثًا إذا كان بقى درهم أو دينار يأخذونه بطريق الزيارات والنذور وبقية الحيل الشيطانية التى لا عد لها فكيف لا تكثر الأمراض والناس ليس عندهم ثمن الدواء وكيف لا تفلس التجار والناس قد صرفوا جميع ما عندهم فى زيارة سيدى الشريف وأمثاله ولم يبقى فى جيوبهم الدرهم الواحد لأجل شراء الحجيات للنسوان والعيال من هدوم وغيرها كيف لا يكون البلاء أشد وأعظم من ما هو حاصل وهؤلاء يجمعون الأموال ليحفظوها فى خزائنهم لتدفن معهم فى قبورهم أننا ننصح إخواننا المسلمين الذين تدفعهم سلامة النية وحسن الطوية إلى صرف أموالهم فى مثل هذه الزيارات والنذور وغيرها أن يصرفوا أموالهم فى بيوتهم على أزواجهم وعيالهم لأن الإنسان مكلف شرعًا بالقيام بجميع ما يلزم للزوجة والأولاد من كسوة ومسكن وأكل وغير ذلك من المصاريف التى لا تقوم الحياة البشرية إلا بها فهذه المصاريف تكلف الإنسان شيئًا كثيرًا وما ذلك الشيء إلا تلك الدراهم التى تصرفونها فى الضلالات والأباطيل والخزعبلات التى لا تنفعكم فى الدنيا ولا الآخرة أن الدراهم نعم من الله فيجب على الإنسان أن يصرفها فيما يعود عليه بالنفع أضف إلى ذلك أن الإنسان يحصل له العرس والطهور والبكاء وكل هذه الأشياء تكون بالفلوس وليس شيء أقرب للإنسان من جيبه ولا يدخلون عليكم الأوهام والأضاليل فليس من أهالى الطرق والعقائد الذين نراهم فى زماننا هذا صالح ولا لهم كرامة بل هم قوم يأكلون أموالكم بالباطل والدليل على قولنا هذا فقركم وغنائهم وأن الشريعة الإسلامية الغراء بين أيدينا فليس فيها شيء من بدعهم وخزعبلاتهم التى أحسنوا صنعها ظاهرها الدين وباطنها الضلال المبين فالعاقل من أخذ حذره من هذه البدع ولا قصدنا من هذه

النصيحة إلا وجه الله الذى أنعم عليكم وعلينا بجزيل النعم ومنها الأرزاق فيجب أن نصرفها فى الواجبات المعيشية التى لابد للإنسان منها وهذا قدر يسير من أفعال أهالى الطرق وسنعود إليه فى حديث آخر إن شاء الله وإلى هنا تم الحديث الثامن وكنت قد خرجت من منزل سيدى الشريف وسأعود إليكم فى وقت آخر لأحدثكم عن مشهداتى وأرجو أن يكون قريبًا.

الحديث التاسع عن التجارة

حدثنا عباد قال قد حدثتك أيها القارئ الكريم عن البيع والشراء فى الحديث الثالث وقصدى اليوم أحدثك عن المعاملة الحاصلة بينى وبين الزبائن الذين يشترون منى لأنها إذا كانت غير طيبة خسرت أنا وأما هم فلا يخسرون شيئًا لأنهم يحولون (الدفة) ذات اليمين وذات الشمال كما يريدون ولما كانت حياة الإنسان لا تقوم إلا بالأكل والشرب والكساء والمسكن إلى غير ذلك من لوازم الحياة ولما كانت هذه الأشياء كلها لا يمكن للإنسان أن يتحصل عليها إلا بالقرش ولما كان هذا الدرهم لا يمكن تحصيله إلا بالعمل كان الواجب على كل إنسان أن يجعل له عملاً شرعيًا من تجارة أو زراعة أو صناعة أو أى عمل غير ذلك يكتسب منه القدر الكافى لحفظ حياته ولا ينفع الكسل والخمول لأ الحياة ليست تحفظ بالنوم وإنما تحفظ بالعمل المتواصل فيجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل طعامًا طيبًا وملبسًا حسنًا ويسكن فى بيت جميل أن يشتغل بجد ونشاط وأما من يقعد من ضل الضحا إلى ضل العصر فلا يزعل أن (أكل حبل العنقريت فيجب عليه أن يسعى ولكل مجتهد نصيب وليس له عذر من الأعذار التى تجدها عند الناس الذين يريدون أن يتملصوا من الكد والاكتساب بل ينامون وغيرهم من أهلهم وذويهم فى عراك مستمر فى طلب الأرزاق التى لا تأتى إلا بالتعب وما على الكسالى (إلا أن يأكلوها مملحة وشرطًا الملاح

يكون مكشن والبصلة غير محروقة) فكان الواجب على أ أسعى وبحكم الأخذ والعطاء قد تجمعنا الظروف مع بعض الناس بخصوص الديون فيأتى الواحد ويشترى منك فيدفع لك هذا فى المرة الأولى أما فى الثانية فيتأخر عن المعاد الأول وتفضل أنت خاتى إيدك فى قلبك أما فى المرة الثالثة (فكوه وطار) وتكوس فى الأرض وفى السماء فلا تجد ولا ريحته وإذا أسعدك الحظ وطب قبضته يخلق لك عذر من تحت الأرض ويمين وعلى بالطلاق إنت فى محلك قروشك تجيك وإنت يا مؤمن يا مصدق وبتين يجى العصر ويقول الأذان الله أكبر ولكن تستن عصور عديدة ولا تشوف زول يشبه فلان اَلذواغ وإذا عرفت البيت بواسطة شيخ الحارة تجد مكتوب على بابه ما فى هذا إذا كان الذى تطلبه الدين بيخجل شوية أما إذا كان من الذين فرغ ماء الحياء من وجوههم فإنه فى أول مرة ترسل إليه الولد الصغير ولكن يعود بكلمة (الله يحنن عليك يا صاحب الدين) حس قروش ما عندنا الله يجيب القروش والمرسال الثانى شرحه والثالث (ياخد ليه دقة ولا كف) وإذا جيت تسأل عن السبب يجرلك العكاز المضبب وتقول بم العود يأكل راسك ومحل ما يعجبك إمشى ومحل ما تشوف عينك خت كراعك وتبقى عليك حكاية المرة التى نزل عندها الضيف وكان راجلها مافى فجابت ليه العشا ولما ملء كرشه راودها عن نفسها فقالت ليه عشا الراجل وكمان يالضيف وأنت يا صاحب الدين بالمثل حقوقنا وكمان النبذ والعكاز هذا إذا كان من تطلبه الدين موجوداً فى داخل البلد أما إذا كان مسافراً فيجب عليك قبل كل شىء أن تشترى ألف جواب بظروفها ومثلها من طوابع البوسطة وتخصص جزءاً كبيراً من الليل لتحرير كتابة الجوابات إذا كنت تتول أعمالك بيدك أما إذا كنت من التجار الذين لهم كتبة فإنك تأمرهم أن يوقفوا حياتهم لحساب فلان ودفتر الذممات وتحضير الكشفات ومع التعب

الشديد ومصاريف البوسطة هل تظن صاحبنا يرد عليك أبدًا وألف أبدًا ويجب عليك فى كل بوسطة واردة من الجيهة التى هو فيها الاستعداد (للوردة وحبوب الكينا) يجب أن تكون جنبك وتتمنى لو تكون من الطيور السابحة فى السماء لتأخذ لك (خفسة لعنده) وتوريه كيف يقرأ جواباتك وأما إن كان من الجماعة الموظفين فإنه فى أول مرة إذا كان لا يعرف خطك يشتاق لقراية الجواب أما إذا كان يعرفه يشرطه ولا يتعب حضرة جنابه بالقراية وما فيش فى بعض الأوقات قبر يرقد فيه أجد من الناس إلا جواباتك أنت بالخصوص زى سبت المهملات أنتِ الفاضل الذى تشهد دفاترك بأنك تفتح له حسابًا جاريًا من الكرفة إلى زر الطربوش إلى رباط الجذمة بل يمكن مصاريف البيت الضرورية تؤخذ نقدية من دكانك ومع هذا كله تقابل فى جميع الأحوال بالنبذ والشتيمة وأخيرًا جزاء المعروف عشرة كفوف وروح اشتكى وبعد أن تسير القضية السير الطيب الطبيعى وتفرح بالحجز (شن بتلقه) أو ماذا تجد عنقريب من حبل ساده ويمكن يكون بتاع الوالدة ويا ليت لو كانت الماهية صرفت فى شىء نافع لكان البطن ما فيها وجعة لكن المصيبة فى صرفها فى ما لا ينفع ويمكن العيال فى البيت جعانين وعريانين والمرية دايرة الدهن والريحة وحضرة الأفندى ودرها فى القمار والبوكر وغير ذلك من ألعاب إبليس التى لا أعرف من أسمائها شيئًا فلا سدد الديون ولا جاب للولدات ملوة العيش والمرة الشعفة تأكل جلدها من عدم الدهن ولوازم النسوان ومع كل العيوب الأدبية المذكور منها (والمحذوف) تجده فى الدرب وبين الإخوان (نخيرته) فى السماء ويا الواطة ما فيك إلا أنا هذا كله قد حصل لى مع الزبائن من أفندية وغيرهم وما خفى أعظم مع العلم بأن الإنسان بصفته مسلمًا يجب عليه أن يكون وفيًا لديونه التى يجرها من التجار الذين أصبحوا يشتكون من جميع عملائهم

الذين يجرون منهم ميع الحاجيـات التى تلزمهم وبالأخص أولاد البلد فأصبح التاجر إذا دين أحد الناس شيئًا يجب عليك أن يكتب على دفتر الزمامات دفتر الديون على الأموات أو الديون التى وقعت البحر إن الإنسان الذى يدفع إليك ماله احـترمك جدًا وجعلك كنفـسه تمامًا بتمـام وهل هناك شىء أعز من المال نعم (الذمة والشـرف) ورد حقوق الناس إلى أصحـابها هكذا يجب أن يكون الإنسان عفيفًا وفيًا لجـميع الالتزامات المالية التى للناس أجرًا وثوابًا إذا أقرض أخاها المسلم دينًا فـها نحن نرى كثيـرًا من التجار يدفعون أمـوالهم لإخوانهم المسلمين بصـفتهـا دينًا ولكن ياللأسف لا وفاء لبعـض الناس حتى أصبـحوا يقابلون هذا المعروف بالنبذ والشتيمة والخصومة أن الله قد يغفر للإنسان بفضله جميع الآثام ما عـدا حقوق الناس فيجب على المسلم أن يكون مـثلا عاليًا فى المعاملة الحسنة لجميع الناس لأن من نجاح التاجر فى تجارته أن يشهد له التجار الذين تربطهم معه صلة المعاملة وهى فى صالح التاجر أكثر من غيره والأغرب من هذا بأن فلانا مثال الذمة والشرف قد يأتى إليك ويطلب منك دينًا وبعد أن تحك دقتـك وتتوقف وتـتردد وربما يحصل منك تكبـر أصحـاب المال فتـصر وجـهك ولا تكشر وبعـد كل هذا تديه الدايره منك فـيختـهـا ليك فى بطنه ويديك ألف مـشوار ومـشـوار حتى يديك القـروش لكن بعـد أن تسلم على المركـوب المنـقل والتكبـر الحـصـل منك فى الأول يحـصل مـنه فى الآخـر والأعجب من كل مـا تقدم أنك تظن الخـير فى أحد الناس وتدفع إليـه قدرًا كافيًا من المال وتكون الظروف حسنة فيـربح ريحًا طيبًا ولكن فى آخر الحساب يطلع ليك كسورًا وبواقيًا ويمكن يشرع فى بناء بيت ولا عرسة وأنت قد تكون غير عالم بالعمل الجارى وبعد شوية تجد الدكان أصابه مرض النقصان (والفار يلعب فى عـبك) وإذا شدت الحـبل فى المطالبة يقـول ليك تسكت ولا أفلس

يجب عليك إن كنت داير فلوسك أن تزيد الدين حتى يقوم الدكان من المرض ولا حتى تلد المرة إذا كـان عريسًا فتـصبح معلقا أنت بين الـسموات والأرض تزيد الدين طويل عـليك حبل الـفلوس تترك الـدين (وردة) الدراهم تمسكك ترفع عليه قـضية ينوم فى الخط وفى النهـاية يةرى عليك المثل (ده طويل وده قصـير وده حـرم ما انكوى به) بل زادت الذمم خـرابًا على خـرابها فأصـبح التاجر يستدين حتى إذا شـبعت كرشه يفلس ويخلى أرباب الديون يشربوا من البحـر أو من النيل الأزرق ولا من بحر أبيض وقـد تكون فى بعض الأوقات ليس لك فى الأمـر شيء وتدعوك المروءة لضـمانة أحـد التجـار وتوقع على السند أو الكمبـيالة (ضامن غارم) وأنـت متوكل على الله وعلى هذه الشعـبة المايلة أن تسـدد ما عليهـا من الديون ولكن كل ذلك ادقـاس أحلام وأنت لا تدرى ولا تعلم حتى يحضر إليك صاحب الدين وبعد السلام عليكم ياخد ليه سكتة شوية ويواجـهك بالحقيقة المرة وهى فلان المضـمون فلس والأمل تسدد حضرتكم ما عليـه وأنت لا تكاد تسمع هذا الكلام إلا تبقى (زى المرة الجابوا ليها خبـر الموت سجم خشمى فلان فلس) وبعـد ما كنت ظاهر فوق الكرسى تهبط ومـا يفضل شيء إلا العـميمـة ويمكن تطير من راسك ويا ولد العـباية ونصها فوق كتفك والنص الآخـر يجر بالواطة ولى عنده وبعد السلام والبركة وأنت تقول (الله يكضب الشـينة) وتريد تلوم تمساح اللية بقولك فـلان حضر إلينا اليـوم وطالبنا بـسداد المبلـغ الذى له عليكم ونحن الآن فى حـاجـة إلى تسـديد ما علينا فـالأمل أن تدفـعوا له المطلوب منـكم ولكن المكرر أحلى أنا فلست يا شيخ غيـر بدل وتبقى تحزم واتلذم إن كان يقـاتل وبرده صاحبنا نايم فى التراب وإلى آخر الخط أنا فلست والأجاويد يقومـوا ويقعدوا والعوة تقيف قرش ونص وأخـيرًا تدفع الفلوس الجنيـه يحك الجنيه لصاحـب الدين وتبقى

تشك الطلب إنت وبلاع الرجال الذى قتل الجدادة وخم بيضها وتجى تحجز على البيت والحوش الحدادى مدادى أو الدكان تلقاه كتبه باسم المرة ولا الولدات والبياكك أبصر منك وبعد يومين ثلاثة تجد التمساح غير الهدوم ودور فى الشماعة بتاعت الغيارات وبعد الكواسة الطويلة يجد ليه قفطان قديم وفرجية ولا عباية فيها مية رقعة ليمثل الزهد والورع ويلازم صلاة الجماعة أما المركوب بتاع الفاشر ركنه فى البيت ولبس الجذمة القديمة التى خاتها للخوادة فى موية المطرة ويبقى الشارع الوحيد الذى يروح ويجى منه خشم دكانك حتى تآمن أنه صادق فى هذه التفليسة وليس هى (بلفة) ولكن بعد فوات مدة التفليسة تجد المياه عادت إلى مجاريها حتى تصل إلى مستواها الأول وأنت عينك فى الفيل وتطعن فى ضله وفى الختام الله يعوض علينا وعليك ولكن التجار زى النسوان الواحدة تضوق فى زمن الولادة العذاب ولكن بردها تحمل وهم كذلك الواحد ياكله المرة بعد المرة وبرده يدين والجوع يعلم أكل الصدقة وربنا يطهر نفوس الناس حتى يخلصوا حقوق الناس والظلم ليس من خصائل الرجال الحميدة بل يدل على خساسة النفس وعدم المروءة كيف ترتاح نفس كريمة لأكل أموال الناس بمثل هذه الحيل والأباطيل وما ذكرته بعض ما هو حاصل وإن كان هناك حيل وشراك يعجز منها إبليس وفى هذا القدر كفاية وسأحدثك أيها القارئ فى يوم آخر عن العرس إن شاء الله وإلى هنا تم الحديث التاسع عن التجارة ويليه الحديث العاشر عن التكبر.

الحديث العاشر عن التكبر

حدثنا على قال قد أخبرتك أيها القارئ عن ما حصل لى عند أكل عصيدة سيدى الشريف وما أصابنى من الجنون بسبب أكل البركة والسجع فى حديثى فى ذلك الوقت لأ العدوة سرت إلى من حاشيته نفعنا الله ببركاتهم أما

حديث اليوم فهو عن التكبر والنخيرة المرفوعة فى السماء والعجرفة والقلاصة الفارغة والطرطشة وشراب الشاهى بالروب فأنك إن رأيت إنسانًا متكبراً وفايت حده بلحيل بطنك بتوجعك وإن كان ما بياكل من جيبك وإن كان والكبر مغروس فى نفس كل إنسان فإذا نظرت إلى الأولاد الصغار فى أيام الأعياد فإنك تجد من كان منهم هدومه سمحة وفى جيبه مبلغ قدره خمسون مليما يتكبر على بقية العيال وهم يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم وهو يأمر هذا ويضرب ذاك والكل لأمره طائعون لا لشيء سواء هدومه الجميلة والملالين التى فى خزانة جيبه وعلى كل حال هو طفل صغير له أن يفخر ويلعب ويفرح لأنه لا يعرف شيئًا عن الدنيا ولكن الكلام كلام الكبار من الناس الذين يرزقهم الله شيئًا من الرزق فلا يريدون أن يمشوا على الأرض ولا يتكلموا مع سكانها وإن كان لهم مع سكان.